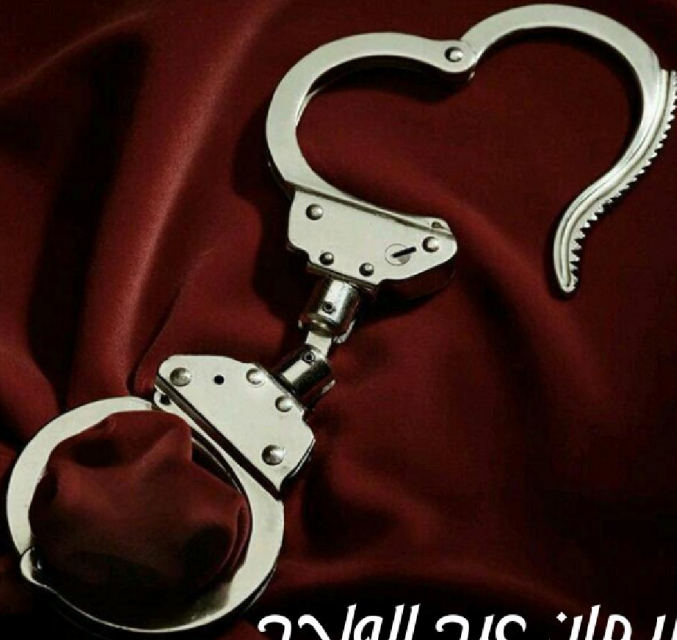


رواية
بلا قيود



إيمان عبد الواحد

بلاقيود

بقلم /

إيمان عبد الواحد

الفصل الأول

أنهى د / أحمد كمال أستاذ علم النفس المحاضرة التي ألقاها على طلبة السنة النهائية بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية قبل أن يغادر قاعة المحاضرات و يبدأ الطلبة في مغادرة القاعة خلفه ؛ عدا جنة التي تحسست حقيبتها و فتحتها و أخرجت منها هاتفها النقال ..

شعرت جنة بالدهشة عندما أتها رسالة مسجلة تفيد بأن هاتف والدها مغلق ؛ و ظلت جالسة في مكانها و الوقت يمر ببطء حتى مرت ساعة كاملة بدون أن يظهر والدها أو يتصل بها ؛ فبدأت تشعر بالذعر ؛ قبل أن تنهض و تتحسس الطريق في صعوبة إلى خارج القاعة ؛ ثم وقفت بالمر لا تعرف ماذا يمكنها أن تفعل قبل أن تنهمر الدموع من عيونها كالسيل .

أنهى د / حسن كمال بضع جراحات صغيرة
 أجراها لبعض المرضى في مستشفى الرمد قبل
 أن يركب سيارته و يتجه إلى كلية الآداب ؛
 اتصل به شقيقه أحمد و دعاه لتناول الغداء معه
 في بيته و طلب منه أن يمر ليصطحبه من
 الكلية لأن سيارته معطلة ..

كان حسن متجهاً إلى مكتب أخيه عندما رأى
 الشابة التي تقف مستندة إلى الحائط و الدموع
 تتسرب من عيونها التي تختفي خلف نظارة
 سوداء كبيرة ؛ بدت الفتاة هشة و ضعيفة و لا
 تعرف ماذا عليها أن تفعل عندما وقف أمامها
 و حرك يده أمام وجهها قبل أن يتنهد ؛ فالعيون
 الجميلة تحت عدسات نظارتها لم تكن تراه ..

سمعت صوت أنفاسه و شعرت بقربه منها ؛
 فهتفت في دعر :

- من أنت ؟

هتف حسن بسرعة :

- د / حسن كمال .. هل أنتِ وحدك
يا آنسة ؟ .. أما من أحد معكِ ؟

همست جنة في تردد :

- لا .. والدي لم يأت ليقلني إلى البيت
كالعادة .. هاتفه مغلق و لا أدري ما
الذي أخره على هذا النحو .. لا ريب
من أن مكروهاً قد وقع له .

كان حسن يرى كم هي متوترة فهتف
في لطف :

- لا قدر الله .. كيف يمكنني مساعدتك ؟
.. هل أفلك إلى بيتك ؟ .. تعرفين
العنوان طبعاً ؛ أليس كذلك ؟

تراجعت جنة و هي تهتف في زعر :

- أنا لا أعرفك و لا أتعامل مع الغرباء ..
أرجوك .. اتركني في حالي .

هتف حسن في حنان و حزم :
 - لديك حق ؛ مع أن الحذر لا يمنع القدر
 يا أنسة .. لكنني لا أستطيع أن أتركك
 وحدك حتى يظهر والدك .. على الأقل
 دعيني أصحبك إلى كافيتيريا الكلية و أنا
 سأنتظره معك .

جلست الفتاة في المقهى صامتة ؛ وضع
 النادل أمامها كوباً من عصير الليمون
 لكنها لم تلمسه ؛ اتصلت بهاتف والدها
 بلا جدوى عدة مرات قبل أن تشعر
 باليأس و تضع الهاتف على الطاولة ..

كان حسن يتأملها في صمت ؛ شابة لا
 تتجاوز الثالثة و العشرين من عمرها ؛
 عيونها التي لا ترى النور تبدو جميلة
 حتى و هي تختفي خلف عدسات
 النظارة السوداء ؛ وجهها الذي يعلوه
 القلق و التوتر يبدو جذاباً خاصة
 و شعرها الأسود ينساب مسترسلاً

و هو يحيط بوجهها و ينسدل على
كتفيها ؛ ثيابها الأنيقة تبدو باهظة الثمن
فعلاً و غاية في التناسق مما يدل على
أن أحداً ما يهتم بمظهرها بمنتهى
الدقة ..

بدأت الفتاة متوترة جداً عندما وضع
حسن كوب العصير في كفها دون أن
يلمسها و هو يهتف :

- يبدو أن والدك قد يتأخر قليلاً ؛ فهل
لديك مانع في أن نتعارف ؟

ترددت الفتاة قليلاً ؛ قبل أن تهتف :

- جنة .. اسمي جنة .. جنة رياض ..
طالبة في السنة النهائية - قسم علم
النفوس .

هتف حسن في سرور :

- مدهش .. شقيقي يدرس لنفس القسم
و ربما كنت تعرفينه .. د / أحمد كمال

.. في الحقيقة هو ينتظرنى فى مكتبه
الآن .. لو جاء معنا و أنا أقلك بسيارتى
إلى البيت هل يجعلك هذا تشعرين
بالأمان ؟ .. تميزين صوته ؛ أليس
كذلك ؟

هتفت جنة فى تردد :

- ألقى علينا محاضرة منذ قليل و بالطبع
يمكننى تمييز صوته ؛ لكن .. لا أريد أن
أزعجه .. يكفى ما سببته من إزعاج .

كانت جنة تفكر فى والدها و هى تشعر
بالخوف ؛ والدها لا يمكن أن يتأخر
على هذا النحو لو لم يكن هناك ما يعوقه
عن الوصول إليها أو الاتصال بها ؛
و كانت محقة فقد كان والدها يقف فى
قسم شرطة باب شرقي و هو غاية فى
التوتر ..

لا يدري متى ينتهي ضابط القسم من تحرير محضر الاصطدام الذي تعرض له و هو في طريقه إلى الكلية ؛ أراد استرضاء سائق الأجرة بكل طريقة ليقبل بأن يدفع له قيمة الضرر التي يرغب بها كما يريد بعيداً عن الإجراءات الرسمية التي ستهدر وقتاً لا يملكه ؛ فهو في حاجة للوصول إلى ابنته بسرعة قبل أن تتعرض لأي خطر ..

أخيراً وافق الرجل و استطاع رياض مغادرة القسم ؛ و أسرع نحو أقرب مركز اتصالات و اتصل على ابنته التي التقطت الهاتف في لهفة واضحة ؛ و ما إن سمعت صوته حتى انهمرت دموعها بغتة ..

التقط حسن الهاتف من يدها ؛ و سمع صوت رياض يهتف في جزع :

- ما بكِ يا جنة ؟ .. هل أنتِ بخير ؟ .. أنا
في طريقي إليك .

هتف حسن في هدوء :

- اطمئن يا سيدي .. الأنسة جنة بخير لكن
من الواضح أنها منفعلة قليلاً فقد كان
تأخيرك يوترها .. على كل حال هي
تنتظرك في كافيتيريا الكلية .

هدأت جنة بعد اتصال والدها حتى أنها
قد مسحت دموعها و بدأت في شرب
الليمون بدون أن تنطق و لا بحرفٍ
واحد ..

ظل حسن يتأملها و هو يفكر بأنها
هادئة بقدر ما هي جميلة ؛ و لا يدري
لما شعر بأنها جذابة جداً حتى أنه لا
يرغب في أن تنته علاقتَه بها عند هذه
اللحظة ..

عندما أتى رياض ضم ابنته في لهفة
و هو يعتذر لها ؛ قبل أن يصافح حسن
و هو يهتف في امتنان :

- شكراً جزيلاً لك على اهتمامك بابنتي ..
لا يمكنك أن تتخيل كم كنت قلقاً عليها
خاصةً أن هاتفي قاطع شحن و لم أملك
الاتصال بها بسرعة .. المهندس /
رياض جلال .. مدير شركة جنة
للمقاولات ..

هتف حسن في هدوء :

- لا شكر على واجب يا سيدي .. أنا سعيد
بأنه قد وانتني الفرصة للتعرف على
سيادتك و على الأنسة جنة .. د / حسن
كمال .. أستاذ مساعد طب جراحة
العيون بكلية الطب - جامعة
الاسكندرية - .

تألقت عيون رياض بفرحة لم يحاول أن
يخفيها و هو يهتف :

- أهلاً أهلاً يا دكتور .. سعيد جداً
بمعرفتك .

عندما علم حسن بأن سيارة رياض
معطلة على إثر حادث مروري عرض
عليه أن يقوم بتوصيلهما إلى البيت ؛
فقبل رياض بسرعة ؛ و بعد دقائق قليلة
كان رياض و جنة يجلسان على الأريكة
الخلفية في سيارة حسن ؛ بينما جلس
أحمد بجواره .. كان رياض يهتف :

- أنا مدين لك بالشكر و العرفان يا دكتور
و أتمنى لو تقبل دعوتي لكما على
العشاء في بيتي الليلة .. هذا أقل شيء
أعبر به عن شكري و امتناني .. و حتى
يكون بيننا عيش و ملح و لا تنقطع
صلتنا عند هذا الحد .

اعتذر أحمد عن حضور الدعوة بينما
طلب حسن إرجاءها إلى الغد لأنه
مرتبط بموعد هام ؛ قبل أن يوقف

سيارته أمام بناية فخمة في طريق الجيش كان رياض يقيم مع ابنته بالطابق العاشر بها .. و ما إن دخلت جنة إلى الشقة حتى هتفت في ضيق واضح :

- لماذا دعوته لزيارتنا ؟ .. منذ متى و نحن نستقبل ضيوفاً في منزلنا يا أبي ؟

هتف رياض في هدوء :

- لم يحدث هذا من قبل قط .. نحن لسنا على علاقة مع أي شخص بخلاف وديدة الشغالة .. لكن هذا ليس من الصواب في شيء يا جنة .. من الطبيعي أن يكون لنا أصدقاء نحب أن نقض بعض الوقت معهم .. ثم إنها طريقة لائقة لأشكره على شهامته معك .

بدا التوتر على وجهها و هي تهتف :

- بل دعوته لأنه طبيب .. لكنه ليس
بساحر يا أبي و لن يستطيع أن يشفيني
.. لا تقحم هذا الغريب في حياتنا يا أبي
؛ أرجوك .. فلا مكان له فيها .

دخلت جنة إلى غرفتها و ارتمت في
فراشها ؛ قبل أن تنفجر باكية .. يؤلمها
أن والدها لا يزال يأمل في معجزة
تعيدها لما كانت عليه قبل عشر سنوات
مضت ؛ و يخيفها أن هذا لن يتحقق
أبداً ..

تعلم أن الظلام المخيف الذي تعيش
مسجونة بين أسواره هو العقاب الذي
تستحقه ؛ و أن عقوبتها به أبدية و لا
يفلح معها نقض أو استئناف ..

عدالة السماء اختارت تعذيبها و هي
ليس لديها ما تدافع به عن نفسها أو تأمل
في أن يجعلها تغفو عنها أو تغفر لها .

دخل رياض إلى غرفة ابنته و حاول
إقناعها بأن تكف عن البكاء ؛ و أن تأتِ
لتناول الغداء معه لكنها رفضت بشدة ؛
و أصرت على البقاء في غرفتها ..

يعرف أنها قد استسلمت لتعاستها منذ
سنواتٍ طويلةٍ لكنه كان يأمل في ألا
تعيش في هذه التعاسة إلى الأبد .

الفصل الثاني

رغم برودة الجو و الساعة التي تجاوزت منتصف الليل بكثير جلست جنة في شرفة غرفتها و هي تحمل بين يديها كتاباً مكتوباً بلغة برايل لم تكن تحاول أن تقرأه فقد كانت شاردة الذهن ..

اقترب منها رياض و التقط الكتاب من بين يديها و هو يهتف :

- لماذا لا زلت مسهدة حتى هذه الساعة ؟
.. لديك محاضرة مبكرة غداً و تحتاجين للراحة يا ابنتي .. كما أن الجو شديد البرودة الليلة و قد تمرضين إذا لم تغلقي هذه الشرفة ؛ و تحصلي على بعض الدفء في فراشك .

همست جنة في فتور :

- دعني قليلاً يا أبي .. أحب أن أسمع أبواق السيارات لأشعر بأنني لست

حبيسة في ظلام حياتي و أن العالم
حولي لا زال موجوداً حتى لو لم أكن
أراه .

تنهد رياض و هتف في حسرة :

- إلى متى يا جنة ستستسلمين لهذا
الظلام ؟ .. ربما تكون الفرصة لا تزال
ساحة لتعودي لما كنتِ عليه يا ابنتي ..
الوقت ...

قاطعته جنة هاتفة في مرارة :

- الوقت لن يفعل شيئاً يا أبي .. الوقت
يخدعنا و يغرر بنا ؛ يقنعنا بأن الفرصة
لا تزال موجودة ثم يحطم كل شيء فوق
رؤوسنا .. خيرٌ لي أن أرضَ بنصبي
و اصبر عليه من أن ألهث خلف سراب
لن يتحقق أبداً .

هتف رياض في حدة :

- و من قال أنه سراب يا جنة ؟ .. كل الأطباء في وقت الحادث أكدوا لي على أنها مجرد حالة مؤقتة و يمكن شفاؤها مع الوقت و العلاج ؛ لكنك رفضت كل محاولاتي لإقناعك بهذا خلال عشر سنوات كاملة .

زفر رياض في حرارة ليستعيد هدوءه عندما شعر بأنه يتحدث بحدة ليس من المعتاد أن يتعامل بها مع ابنته الوحيدة قبل أن يربت على كفها و هو يردف :

- جنة .. افهميني يا ابنتي .. أنتِ يتيمة و وحيدة و ليس لكِ أي شخص يمكن أن يرعاكِ و يهتم بكِ غيري و أنا لن أعيش إلى الأبد .. أريد أن أطمئن عليكِ قبل أن أموت .

انتفضت جنة في دعر قبل أن ترتمي في حضن والدها .. تكره الموت و تخشاه

.. انتزع منها أمها من قبل و لا تستطيع
 أن تتخيل أن ينتزع منها والدها ذات يوم
 ؛ هي تعتمد عليه في كل حياتها و لا
 يمكنها أن تعيش بدونه .. حتى أنها
 تعيش فحسب لأنه يريد لها موجودة ؛
 و إلا لربما تخلصت من حياتها منذ وقتٍ
 طويل .

في الصباح عندما استيقظ رياض
 و استعد للذهاب إلى شركته لم تكن جنة
 قد غادرت فراشها بعد ؛ نظر رياض
 إلى المائدة المعد فوقها الفطور قبل أن
 يلتفت إلى الخادمة هاتفاً :

- هل جنة نائمة فعلاً أم أن هذا ما تقولينه
 فحسب ؟ .. لأنني أعلم أنها قد ظلت
 مستيقظة حتى الفجر و ربما هي لا
 زالت مستيقظة حتى الآن .

هتفت وديدة في تردد :

- بصراحة .. هي طلبت مني أن أكذب عليك .. قالت أنها متعبة و لا ترغب في الذهاب إلى الكلية ؛ و تريد أن تنام لكنها لم تتم بعد .. كما أنها تبكي .. تبدو مبتئسة هذا الصباح أكثر من أي يوم مضى .. ألا تعلم ما بها يا باشمهندس ؟ .. لأنني لم أرها على هذه الحالة من قبل . قط .

دخل رياض إلى غرفة ابنته التي استلقت في الفراش و هي تتظاهر بالنوم لكنها لم تستطع أن تخفي آثار الدموع التي لا تزال تبلل وجهها .. جلس رياض على طرف فراشها و هو يهتف :

- تعرفين أنني لن أذهب قبل أن أنتاول الفطور معك .. كما تعرفين أنني لن أكل و لا لقمة واحدة بدونك .. ثم إنني لن أعود على الغداء اليوم ما دمت لن

تذهبي إلى الكلية ؛ فلديّ أعمال كثيرة
معطلة كما أنني يجب أن أصلح السيارة
.. هل سيهون عليك أن أظل جائعاً
طوال النهار ؟

اعتدلت جنة جالسة في فراشها و هي
تهمس :

- أنا عبء كبير عليك يا أبي ؛ أليس
كذلك ؟ .. لو أنني مت في ذلك الحادث
بدلاً من أن أفقد نظري لكنت قد تزوجت
و أنجبت و عشت حياتك لكن هذا لم
يحدث للأسف .

هتف رياض في لوعة :

- إياك أن تقولي هذا مرة أخرى .. من
رحمة الله بي أنني لم أخسرك .. أنا لم
أكن لأقف على قدمي لو لم تكوني
موجودة في حياتي يا جنة فأنا أعيش بك
و لأجلك .. لا تتخلي أنك عبء على
حياتي لأنك أنت حياتي يا ابنتي ؛ و أنا

لا أحملك على أكتافي لأنوء بكِ لكنني
أحملك في صدري .. و لولا أن الله قد
حفظك لي لتحطمت حياتي و انتهت منذ
وقتٍ طويل .

على ممرض غادرت جنة فراشها
و شاركت والدها في مائدة الفطور ؛
ظلت صامئة و لم تنطق بحرفٍ واحد
و هي تسمع والدها يتحدث مع وديدة
عن دعوة العشاء و هو يحثها على تقديم
أفضل ما يمكنها تقديمه قبل أن يهتف :
- إذا لم تكوني مستعدة لهذه الدعوة فقولي
من الآن يا وديدة .. يمكنني أن أحضر
الطعام من أفضل المطاعم ؛ الرجل
يدخل إلى بيتنا لأول مرة و أريد أن
أحتفي به كما ينبغي ؛ و إذا لم تكوني
قادرة على تجهيز مائدة عامرة
و مشرفة يمكنك أن تقولي هذا من الآن
لأرى ماذا سأفعل .

ضحكت وديدة و هتفت :

- عيب يا باشمهندس .. امنحني الفرصة
لأثبت لك أنني أفضل من تلك المطاعم
التي تتحدث عنها ؛ كما أنها أول مرة
تدعو فيها أحداً إلى البيت و سأكون
سعيدة جداً و أنا أبرهن لك على
براعتي .. لكن إذا كنت مصراً على
شراء شيء يمكنك شراء بعض
الحلويات فلن أجد وقتاً لتجهيزها ..
اتفقنا .

عادت وديدة إلى المطبخ ؛ فهتفت جنة

في توتر :

- لما أنت مهتم بدعوة ذلك الرجل لهذا
الحد ؟ .. لأنه طيب ؟ .. أريدك أن
تعلم يا أبي أنني لا أرغب في أن
يفحصني أحد .. و لن أرحب بذلك
الرجل كما تفعل .. أنت دعوته إلى
العشاء و أنت سترحب به وحدك ..
و هذا قراري النهائي .

هبت جنة واقفة و التمتست الطريق إلى
غرفتها ؛ فأغلقت الباب خلفها و ارتمت
في الفراش و هي تشعر بالذعر ..

تألف عالمها المظلم الذي لا يشاركها فيه
سوى صوت والدها و وديدة و لا ترغب
في أن يقتحم الغرباء عالمها هذا ..
و بالأخص ذلك الرجل الذي يبدو والدها
ملهوفاً على غرسه داخل حياتهم بدون
مناسبة .. لكنها لن تسمح بهذا .. يمكن
لوالدها مصادقة من يشاء ما دام يحتفظ
بصداقاته هذه خارج جدران غرفتها ؛
لكنه لن يستطيع أن يفرض عليها
الخروج من الغرفة ؛ و تناول العشاء
مع ذلك الغريب مهما حاول أن يفعل .

و لم تكن جنة تستطيع أن تدرك أنه ليس
والدها فحسب من كان متحمساً لهذه
الدعوة ؛ فقد بدا أن حسن أكثر حماساً
منه و هو يقف أمام المرأة في غرفته

ببيت والده و هو يصف شعره بعناية
قبل أن يتعطر .. دخلت أمه إلى الغرفة
و نظرت إليه في شيء من الضيق
و هي تهتف :

- تبالح في أناقتك كثيراً هذه الليلة .. لا
أظن أن كل هذه الأناقة من أجل الذهاب
إلى العيادة أو المستشفى .. من الواضح
أن لديك موعداً هاماً يا دكتور .

التفت حسن إلى والدته هاتفاً و على
وجهه ابتسامة عريضة :

- لا عيادة الليلة .. دعاني صديق التقيته
مؤخراً إلى تناول العشاء في منزله و لا
تقولي أنك لا تعرفين هذا يا ست الكل ..
و بالمناسبة .. هل زارك أحمد اليوم أم
اتصل بك هاتفياً ؟

هتفت الأم في تبرم :

- و ما دخل أحمد فيم كنا نتحدث عنه ؟ ..

نظر إليها حسن و ابتسامته تزداد تألقاً
و لم يقل شيئاً فهتفت الأم في توتر :
- فليكن .. أخوك كان هنا اليوم و تناول
الغداء معي و حكي لي عن تلك الطالبة
الكفيفة .. و ما دمنا نتحدث على
المكشوف .. دعني أسألك بشكل مباشر
و بدون لف أو دوران لأن هذا هو نوع
الإجابة التي أنتظرها منك .. ماذا تريد
من تلك الفتاة ؟ .. لأنها لا تناسبك .

قبل حسن جبين والدته ؛ و هتف في
هدوء :

- حتى هذه اللحظة لا أستطيع أن أمنحك
إجابة شافية كما ترغبين .. جنة تجذبني
بشدة و أرغب في أن أقترب منها
و أتعرف عليها بشكلٍ أشد عمقاً و هذا
كل شيء .. حتى الآن .. عندما يكون
هناك شيء فعلاً لن أتردد في إعلانه ؛
و مع هذا اطمئني .. لا أظن أنني

سأراها الليلة فهي لا ترحب باستضافة
والدها لي و لا ترغب في أن تراني .

هتفت الأم في حدة :

- هي لا تراك و لا ترى غيرك يا دكتور
.. هذه البنت يجب أن تمحوها من
حياتك الآن و فوراً .. لأنني لن أقبل بأن
يكون لها مكان في حياتك على
الإطلاق .

الفصل الثالث

استقبل رياض حسن في منزله بترحاب شديد رغم شعوره بالحرَج من تصرف جنة التي ظلت في غرفتها و رفضت أن تستقبل حسن معه أو تشاركهما الطعام .. بدا رياض محرَجاً و هو يهتف :

- خطوة عزيزة يا دكتور .. لا يمكنك أن تتخيل كم أنا سعيد بتشريفك بيتي المتواضع الليلة ؛ و أتمنى أن تكون هذه فاتحة خير لعلاقة متينة تطول إلى الأبد .

هتف حسن مبتسماً :

- أنا الأسعد يا باشمهندس .. و أثق فعلاً في أنها معرفة خير و لن تنفصم .. على فكرة .. ذوق شفتك رائع و تبدو مريحة جداً .

هتف رياض في حماس :

- اخترت الأثاث بنفسى و راعيت ألا
يشغل مساحة كبيرة حتى لا يززع جنة
.. يسعدنى كثيراً أنه يعجبك .

صمت رياض لحظة ؛ قبل أن يردف :
- بخصوص جنة .. آسف لأنها ليست معنا
الآن .. لكنك تعرف ظروفها يا دكتور
و يمكنك أن تتفهم موقفها .

هتف حسن بسرعة :

- طبعاً يا باشمهندس .. من الواضح أن
الآنسة جنة منطوية جداً و تفضل أن
تعيش في عزلة و لا ترحب بالاختلاط
بالناس .. كان يسعدنى وجودها معنا
فعلاً ؛ لكننى لا أرغب في إزعاجها ..
و كنت أود أن أسأل .. هل ولدت
كيفية ؟

هتف رياض في أسى :

- لا .. كانت مبصرة حتى بلغت الثالثة عشر من عمرها تقريباً .. تعرضت لحادث سيارة كاد أن يودي بحياتها .. ظلت في العناية المركزة لبضعة أيام ؛ و عندما استعادت وعيها أخيراً لم تكن ترى أي شيء على الإطلاق .. أحمد الله على أنني لم أفقدها و لا زلت أمل في أن تستعيد نظرها لتعيش حياتها كأية فتاة في سنها ؛ لكن من المؤسف أن هذا يكاد أن يكون مستحيلاً للأسف .

قطب حسن جبينه و هتف في اهتمام :
- لما مستحيل ؟ .. ما هي حالتها بالضبط ؟ .. أقصد .. من الطبيب الذي قطع باستحالة استعادتها لنظرها ؟

زفر رياض في حرارة ؛ قبل أن يهتف في مرارة :
- للأسف لا أحد .. جنة ترفض العلاج بشدة حتى أنني فشلت في إقناعها بأن

أعرضها على أي طبيب طوال عشر سنوات كاملة .. في وقت الحادث أخبرني الأطباء بأن حالتها ليس ميئوساً منها لكنها رفضت تصديق هذا .. و لا زالت تصر على موقفها حتى الآن .

هتف حسن في استياء :

- لكن هذه حماقة .. آسف يا باشمهندس لكنك أخطأت في الرضوخ لإرادتها في هذا ؛ كانت مجرد طفلة و مسؤولة منك و كان عليك أن تقرر ما في صالحها و تفرضه عليها إن اقتضى الأمر .. و لا زالت مسؤولة منك و عليك أن تقنعها بأن تخضع للفحوص اللازمة أو تجبرها عليها فهذا لصالحها ..

أطرق رياض برأسه و صمت للحظة مفكراً في كلام حسن قبل أن يهتف :

- لديك حق .. تركتها تستسلم لليأس و لم أفعل شيئاً لانتشالها من تعاستها .. لكنني

لم أستطع أن أضغط عليها و أعاملها
 بقسوة .. يكفي ما هي فيه .. أتعرف
 يا دكتور ؟ .. بعد لقاءنا بالأمس تجدد
 في قلبي الأمل و تمنيت فعلاً لو يكون
 شفاء ابنتي على يديك ؛ لكنني لا أعرف
 فعلاً كيف أقنعها بهذا .

هتف حسن في حيرة :

- ماذا عن أمها ؟ .. قد تكون أجدر منك
 على إقناعها .

ظهر التوتر على وجه رياض و هو
 يهتف :

- مانت .. جنة يتيمة يا دكتور و ليس لها
 أخوة أو صديقات .. منذ الحادث و هي
 تغلق حياتها عليها و لا تسمح لأحد
 بالاقتراب منها غيري ؛ و أنا تعبت من
 الحديث معها دون جدوى .. في هذا
 الموضوع بالذات أشعر بأنها صماء
 و تعجز عن سماعي .

تردد حسن لحظة ؛ قبل أن يهتف :

- دعني أتحدث معها .. ربما أستطيع إقناعها بأن تسمح لي بفحصها .. جنة يجب أن تفهم أن الاستسلام ليس خياراً بل هو حماقة من المؤسف أن ترتكبها في حق نفسها .

بدا و كأن عرض حسن هذا هو القشة التي قد تعلق بها رياض كالغريق فقد أسرع نحو غرفة ابنته و دخلها ليستأذنها في دخول حسن إليها ؛ فإذا بها واقفة عند الشرفة تحرق في ظلام الليل الذي لا تراه بعيون خاوية ؛ بينما المطر ينهمر بشدة و تعصف الرياح بستائر غرفتها ..

اندفع نحوها رياض و جذبها بعيداً عن الشرفة قبل أن يغلقها بسرعة و هو يهتف في عتاب :

- لما أنتِ مصرة على الإضرار بنفسك ؟
.. ما كان عليكِ الوقوف بالشرفة في هذا
الجو العاصف .

همست جنة في حيرة :

- أين ذهب ضيفك بهذه السرعة ؟ .. لا
يبدو أنكما قد تناولتما العشاء بعد .

تنهد رياض في حرارة ؛ و نظر إلى
باب غرفتها حيث وقف حسن و هتف :
- لم يذهب بعد .. حسن يرغب في الحديث
معك لبرهة و أتمنى أن تصغي إليه جيداً
يا جنة .. فربما يكون هذا هو آخر باب
للأمل يمكن فتحه يا ابنتي ؛ فلا تصغيه
في وجه نفسك قبل أن تفكري فيه
بجدية .

هتفت جنة في توتر :

- لا أرغب في الحديث معه و لا أرغب
في الاصغاء لأي حديث مهما كان ..

أرجوك يا أبي .. لا تسمح لهذا الرجل
باقتحام حياتنا .. أرجوك .

أسرع رياض يغادر الغرفة متجاهلاً ما
تقول بينما تأملها حسن في هدوء لا
يخلو من الأسى ؛ بدت تعيسة و بائسة
و هي تهمس :

- أبي .. أين أنت ؟ .. هل تركتني
و حدي ؟

لم يتحرك حسن خطوة واحدة نحوها بل
ظل واقفاً عند باب الغرفة لكنه هتف في
هدوء :

- والدك تركنا وحدنا لأتحدث بحرية
و أنت مضطرة لسماعي .

اضطربت جنة كثيراً ؛ و هي تهتف في
حدة :

- ماذا تفعل هنا ؟ .. كيف دخلت إلى
غرفتي ؟

هتف حسن في هدوء :

- دخلت من الباب يا جنة .. استأذنت والدك قبل أن أفعل و هو سمح لي بالدخول و فتح الباب أمامي و كما قلت من قبل .. لديّ ما أقوله لك و أنت مضطرة لسماعي .. فهل تأتين لمشاركتنا العشاء لتسمعيني بروية أم أقول ما أرغب في قوله هنا و الآن ؟ .. القرار قرارك .

هتفت جنة في توتر :

- هل أنت أصم ؟ .. قلت مراراً أنني لا أرغب في سماعك كما أنه لا يحق لك اقتحام حياتي على هذا النحو .. أسديتني خدمة لم أطلبها منك و أبي ممتن لك عليها بما يكفي ؛ و تأكد من أنني لست في حاجة للمزيد من الخدمات التي لا أرغب بها و لم أطلبها منك ؛ خاصةً و أنت تتجاهل ما أطلبه فعلاً .. اخرج

لو سمحت .. اخرج من غرفتي و من حياتي كلها .

اقترب حسن منها فتراجعت في ذعر ؛ لم تكن تراه لكنها كانت تشعر بوجوده يسحقها و يبغثر عواطفها رغم أنه ظل بعيداً عنها بمسافة كافية لا تسمح له بأن يلمسها و هو يهتف :

- أنتِ عنيدة إلى حد الحماسة .. لماذا تصرين على إغلاق أبواب الرحمة في وجه نفسك و تصرين على تعذيبها ؟ .. الاستسلام لما أنتِ فيه غباءً مطلق خاصةً لو كانت أمامك فرصة للشفاء .

لمعت الدموع في عيونها التي نظرت إليه رغم أنها لم تكن تراه ؛ و هي تهتف في مرارة :

- ضاعت كل الفرص .. هذا قدرتي و أنا أَرْضَى به و لن أسمح لك بالتدخل في حياتي .. أَرْضَى بما كتبتَه الأقدار عليّ

و أنتعاش مع واقعي حتى لو كان هذا لا يعجبك .. الحماقة يا دكتور هي أن أحلم بالمستحيل و ألهث خلف سرابٍ لن يتحقق .

- تنهد حسن في حرارة ؛ قبل أن يهتف :
 و من قال أن شفاءك مستحيل أو أن استعادتك لبصرك وهم أو سراب ؟ ..
 العلم يحقق معجزات يا جنة و لا يمكنك القطع بإمكانية علاجك من عدمها قبل أن تخضعي لفحصٍ جيد و هذا ما سنفعله فوراً .. سأنتظرك غداً في المستشفى التي أعمل بها و ستخضعين للفحص ؛ و إذا كان شفاءك مستحيلاً كما تقولين فلن يكون في يدنا ما نفعله ؛ أما لو كانت لا تزال أمامك فرصة فمن الحماقة أن تضيعيها .. و هي حماقة لا أنا و لا والدك سنسمح لكِ بارتكابها .. لذا .. أراكِ غداً يا جنة .

غادر الغرفة و هي تهتف في ثورة :
- لن أذهب إلى أية مستشفيات و لا أريد
منك أن تفحصني .. هل فهمت ؟ .. لن
أذهب .. أبداً .

ثم ارتمت في فراشها و هي تبكي في
لوعة حتى غفت .

الفصل الرابع

استيقظ رياض من نومه مفزوعاً على صوت صراخ ابنته الذي يملأ المكان ؛ أسرع يغادر الفراش و يندفع نحو غرفتها و يقتحمها ؛ كانت تبكي في فراشها مذعورة و هي لا تزال تغرق في كابوسها الذي لا يكف عن مهاجمتها في كل ليلة ..

قبل أن تهب جالسة في فراشها و يحتويها والدها بين ذراعيه و هو يتمم بالبسمة و ببعض آيات القرآن حتى هدأت قليلاً و كف جسدها عن الارتجاف ؛ فهمس في لوعة :

- أهو نفس الكابوس ككل ليلة يا جنة ؟ ..
ألا زلتِ لا ترغبين في أن تحكيه لي
يا ابنتي ؟

دفنت وجهها في صدره و هي تبكي في لوعة ؛ فمسح رياض بيده على شعرها في حنان قبل أن يهمس :

- إلى متى يا ابنتي ؟ .. يجب أن نفعَل شيئاً لإيقاف هذا العذاب .. إذا لم تكوني مستعدة لأن تفتحي قلبك لي و تتحدثي معي فدعيني أذهب بكِ إلى شخصٍ مختص يمكنه سماعك ؛ و قد يساعدك على التخلص من كوابيسك .

همست جنة في ألم :

- حياتي كلها كابوس لا ينتهي .. ليلها كنهارها .. عذاب لو أنني مت لكان الموت أهون منه بكثير .. لكن القدر لم يرد أن يرحمني و لا أحد يمكنه أن يشفيني .. لا من العمى و لا من الكوابيس يا أبي .

ابتعدت جنة عن صدر والدها و عادت للاستلقاء في فراشها ؛ احتضنت و سادتها و ظلت تبكي في حرقه و والدها ينظر إليها في حسرة و هو لا

يدري ماذا يفعل من أجلها .. قبل أن يهمس :

- حسن محق .. لقد قصرت و ربما أجمت في حقاك عندما تهاونت في علاجك كل هذا الوقت .. في الصباح سذهب إلى الرجل الذي ينتظرنا ليفتح لنا باب الأمل و لو لم تذهبي معي إليه بإرادتك ستضطريني لأن أحملك إليه و لو رغماً عنك .. لأنك لم تتركي أمامي خياراً آخر .

في الصباح كان حسن يجلس إلى مائدة الفطور مع والديه و هو يتناول طعامه في صمت متجاهلاً النظرات التي يتبادلها والداه و التي كان يفهم مغزاها جيداً ..

كانت والدته ترغب في فتح باب الحديث و والده ينهاها عن أن تفعل ؛ و كان يعلم أنه لا أحد يستطيع أن يمنع والدته

عما ترغب فيه فعلاً ؛ لذا لم يشعر
بالدهشة عندما هتفت :

- تأخرت كثيراً في العودة إلى البيت ليلة
أمس .. هل كانت دعوة العشاء ممتعة
لهذا الحد ؟

لاحظ حسن نظرة الاستسلام التي
ظهرت في عيون والده قبل أن يخفي
وجهه بجريدة الصباح و هو يتظاهر
بقراءتها ؛ قبل أن يلتفت إلى أمه هاتفاً :

- لما لا تدخلين إلى صلب الموضوع
يا أمي ؟ .. لديك ما ترغبين في قوله
و أنا مستعد لسماعه .. ما الذي لا يروق
لكِ يا ست الكل ؟ .

هتفت الأم في حدة :

- كل شيء .. البنت التي ظهرت من العدم
و قلبت كيائك بدون مناسبة .. عزوبيتك
التي لم يعد لها معنى .. تجاوزت
الخامسة و الثلاثين و لا تفكر في

الزواج ؛ فمتى ستفعل ؟ .. أصغر أولاد
أحمد سيلتحق بالدراسة هذا العام و أنت
تصغره بعامين فحسب .. فمتى سيكون
لك زوجة و أولاد ؟

ارتشف حسن بعض القهوة ؛ قبل أن
يهتف في هدوء :

- عندما أجد بنت الحلال التي أرغب في
الارتباط بها فعلاً و هذا لم يحدث حتى
الآن للأسف .. لكنه قد يحدث قريباً جداً
فلا داعي للعجلة يا أمي .. كما يمكنك
تأجيل هذا النقاش الآن فقد تأخرت على
المستشفى و لديّ جراحات يجب أن
أجريها .

غادر حسن الشقة و هو يتجاهل نظرة
السخط في عيون أمه التي التفتت إلى
زوجها و هي تهتف :

- لما أنت صامت و لم تقل شيئاً ؟ .. هل
تعجبك تصرفات ابنك ؟ .. رشحت له

أكثر من فتاة ليرتبط بها .. و كلهن من عائلات كريمة و جديرة بالمصاهرة لكنه يتجاهلني كما لو كنت أكلم نفسي .. لما لا تفعل شيئاً يا كمال ؟ .. ابنك لم يعد صغيراً و قد يتورط مع فتاة لا تليق به و لا تستحقه .

هتف كمال و هو يضع الصحيفة جانباً :
 - تقصدين مع فتاة ليست من ترشيحك و اختيارك يا درية .. ابنك لم يعد صغيراً و هو ليس في حاجة لوصايتك .. ارفعي يدك عنه و اتركه ليعيش حياته بالطريقة التي يجدها مناسبة .. هو لن يتزوج إلا عندما يقع كالأحمق في شباك الحب ؛ فمن شابه أباه فما ظلم .. أم أنكِ قد نسيتِ ؟ .

قطبت جبينها ؛ و هي تهتف في ضيق :
 - تتحدث كما لو كنت تترافع في المحكمة .. اعتزلت المهنة مؤخراً يا سيادة

المستشار و يمكنك أن تودع هذه الخطب
فهي لا معنى لها .. حسن ابني و أنا
أدرى بمصلحته ؛ و سأجد له العروس
المناسبة و أقنعه بها قبل أن يقع في
شباك تلك الكفيفة .

لم تكن تعرف أن حسن قد ذهب إلى
المستشفى و هو فعلاً يشعر بالهفة على
لقاء جنة ؛ كان واثقاً من أن والدها
سيضغط عليها بما يكفي ليجلبها إليه ؛
و كان ينتظر هذا بفارغ الصبر ..

لا يعلم ما إذا كان يستطيع فعلاً أن يفتح
أمامها باباً للأمل و للشفاء لكنه يدرك
جيداً أنه يجب أن يحاول و أن يبذل كل
ما في وسعه من أجلها .. لا ليخرجها
من الظلام الذي يحكم حياتها فحسب ؛
بل ليخرجها من التعاسة التي تأسر قلبها
و تطمس عواطفها ..

عندما دخلت جنة إلى المستشفى كانت
ترغب فعلاً في الفرار بعيداً عن حسن ؛
و عن العواطف التي تعصف بقلبها بلا
رحمة ؛ و عن العالم الذي يصر على
جذبها إليه و هي تعلم أنها لا تليق به
و لا يناسبها .. لكن رياض لم يعطها
الفرصة للهرب .. هذه المرة كان
مستعداً للضغط عليها بكل قوته لتستسلم
لإرادته فقد كان يشعر بأنها قد تكون
آخر فرصة من الممكن أن يمنحها القدر
لابنته لتستعيد سعادتها و استقرارها مرة
أخرى ؛ و لم يكن مستعداً لفوات
الفرصة و ضياعها بأي ثمن .

شعر رياض بالدهشة عندما همست جنة
فجأة :

- هو ليس الطبيب الوحيد هنا .. أليست
هذه مستشفى ؟ .. يمكنك أن تجد طبيباً
أكبر سناً و أكثر خبرة ليفحصني
و ينتهي الأمر .

حدق رياض في وجهها للحظة في حيرة ؛ لا يفهم لما يزعجها حسن على هذا النحو و هي حتى لا تستطيع أن تراه ..
ثم همس :

- الكفاءة لا تتوقف على السن و سنوات الخبرة فحسب يا جنة .. أنا سألت عن حسن و مدحه الجميع فهو طبيب ممتاز على صغر سنه ؛ كما أنه حاصل على الدكتوراة من انجلترا و لديه درجة زمالة هناك ؛ و ليست لديّ ذرة شك واحدة في كفاءته بل على العكس .. ينتابني شعور بأن القدر قد وضعه في طريقنا في الوقت المناسب لأنه هو بالذات من يستطيع انتشالك مما أنت فيه ..

لم ينتظر رياض أن يسمع تعليق ابنته على كلامه ؛ و سأل بسرعة عن مكتب حسن فوجد ممرضة تتجه نحوه مبتسمة و هي تهتف :

- الباشمهندس رياض و الأنسة جنة ؛
 أليس كذلك ؟ .. د / حسن سيني
 جراحة عاجلة خلال دقائق و طلب مني
 استقبالكما .. لو سمحت يمكنك أن تنتظر
 في المقهى قليلاً ؛ و سأصحب الأنسة
 جنة لإجراء بعض التحاليل قبل أن
 يراها الدكتور .

لم تكن جنة ترغب في الذهاب مع
 الممرضة التي كانت لطيفة جداً و ظلت
 تتحدث معها عن كفاءة حسن و تقدم
 جراحات العيون و كأنها تحاول أن تبث
 الطمأنينة إلى نفسها ..

لم تعرف جنة كيف تقنع تلك الثرثرة
 بأنها لا رغبة لديها في العلاج و لا
 الشفاء و لا الحديث عن حسن على
 الإطلاق ؛ و عندما عادت إلى والدها
 بدت شاحبة الوجه جداً حتى أنه أحاطها
 بذراعيه و هو يهتف في قلق :

- هل أنتِ بخير ؟

هزت رأسها نفيًا ؛ و بدت تعيسة على نحو جعل رياض يتخاذل حتى أنه فكر للحظة في أن يغادر بها المستشفى لولا أن هتفت الممرضة :

- د / حسن أنهى الجراحة و ينتظر كما في غرفة الكشف .. من هنا .

تعلقت جنة بذراع والدها و هما يسيران خلف الممرضة إلى الغرفة التي فتح حسن بابها قبل أن يصفح رياض بحرارة ؛ و هو ينظر إلى جنة بطرف عينه و هو يشعر بالإشفاق لمرآها و هي على هذه الحالة ..

لا يفهم ما بها بالضبط و يجعلها ترفض العلاج أو ربما تخشاه ؛ فتاة في سنها من المفترض أن تكون ملهوفة على أن

ترّ الحياة و تنغمس في غمارها لا أن
تتهرب منها على هذا النحو .

أمسكت الممرضة بمرفق جنة و أخذتها
برفق إلى المقعد المعد للكشف ؛ بينما
طلب حسن من رياض أن ينتظر قليلاً
خارج الغرفة فأطاعه و هو ينظر إلى
ابنته التي ازداد شحوبها في قلق .

الفصل الخامس

كانت جنة تجلس على مقعد الكشف و هي ترتجف ؛ و ازداد ارتجافها عندما غادرت الممرضة الغرفة بعد أن أطفأت أنوارها ..

انقبض كفاها على ذراعي المقعد و بدا و كأنها تهم فعلاً بالقفز منه لتغادر المكان عندما سلط حسن ضوء الكشاف على عينيها ؛ و هو يهتف في هدوء :

- مما أنتِ مذعورة ؟ .. أنا طبيب و هذه مستشفى و أنتِ حتى هذه اللحظة لا زلتِ مجرد مريضة لديّ .. اهدئي قليلاً حتى أستطيع التركيز ؛ فذعرك هذا يجعلني أتوتر و أشعر بالذنب ؛ كما لو كنتِ أحتجزك في غرفة نومي رغماً عنك .

حاولت جنة أن تسيطر على ارتجاف جسدها لكنها لم تستطع أن تفعل ؛ كان

قريباً جداً منها حتى أنها كانت تشعر
بوجهها يتوهج من حرارة الشعور
الغريب الذي كان يندفع في شرايينها ؛
و هي تكافح كي تفر من الأفكار الغريبة
التي كانت تهاجم عقلها بلا رحمة .

عندما زفر حسن في ضيق ؛ و هو يبتعد
عنها و يشعل أضواء الغرفة ؛
و يضرب الجرس ليستدعي الممرضة
و رياض الذي دخل إلى الغرفة ملهوفاً
و عيونه تنطق بالقلق و التوتر ..

شعرت جنة بشعور غريب و كأنها قد
أصبحت وحيدة فجأة في بحر متلاطم
الأمواج يعصف بكل كيائها بلا رحمة .
هتف رياض في لهفة :
- هل هناك أمل يا دكتور ؟

هتف حسن في ثقة :

- الأمل دوماً موجود يا باشمهندس لكنه يحتاج لمن يمتلك الجرأة على البحث عنه ؛ حالة جنة لحسن الحظ بسيطة جداً و لا تستدعي كل هذا القلق ؛ و أنا واثق من أنها من الممكن أن تستعيد بصرها بمجرد خضوعها لجراحة بسيطة و

هبت جنة واقفة ؛ و هي تهتف في
ذعر :

- لكنني لن أفعل .. لن أخضع لأية عمليات و لا أريد أن تتبع لي أو هاماً أعرف أنها لن تتحقق .. أبي .. خذني من هنا ؛ أرجوك .

هتف رياض في توتر :

- رويدك يا جنة ؛ تريثي قليلاً حتى نفهم ماذا يستطيع حسن أن يفعل لأجلك .. ما

دام هناك أمل يا ابنتي ؛ فمن حماقة أن
ندير ظهورنا له .

كانت جنة مذعورة فعلاً و هي تحاول
مغادرة الغرفة بدون مساعدة والدها ؛
حتى أنها قد تخبطت في كل ما حولها
حتى كادت أن تتعثر و تسقط على
الأرض ؛ عندما جذبها حسن فجأة
و أحاطها بذراعيه و هو يهتف في
حزم :

- كفى يا جنة .. قلت كفى .. قبل أن تؤذي
نفسك .

تنهد حسن في حرارة عندما انفجرت
جنة باكية ؛ و ابتعد عنها خطوتين بينما
أسرع والدها يضمها إلى صدره
و يغادر بها المستشفى و يعيدها إلى
البيت ؛ و هو لا يفهم ما الذي يجعلها
تنهار لهذا الحد ؛ و كأنها ترفض أن
تستعيد بصرها و حياتها و حررتها ؛

و كأنها تصر على أن تبقى أسيرة
للظلام الذي يملأ قلبها بالتعاسة و يملأ
حياتها بالوحدة ..

لم تتوقف جنة عن البكاء حتى بعد
مرور ثلاثة أيام على تلك الليلة ؛ كما
أنها ظلت تحبس نفسها في غرفتها
و هي ترفض مغادرتها لا لتتناول
الطعام مع والدها كالعادة و لا لتذهب
إلى الكلية .

كان رياض يشعر بالحيرة و هو لا
يدري ما الذي يحدث لابنته بالضبط
و يجعلها تضرب حول نفسها سياجاً من
الوحدة و التعاسة ؛ خاصة الآن بعد أن
أصبح الأمل يلوح في الأفق ..

يتمنى لو تحدث معه و تفضي بما في
نفسها لكنها لم تكن تفعل هذا بل أصرت
على الصمت ؛ و لم يكن يجد إجابة على

سيل التساؤلات الذي ينهمر في أعماقه
حتى هتفت وديدة ذات صباح :
- أظن أنها تحب .

حرق رياض في وجه وديدة في
استغراب قبل أن يهتف :
- تحب ؟ .. تحب من ؟ .. من أين وانتك
تلك الفكرة ؟

ابتسمت وديدة و هتفت :
- الرجال دائماً لا يفهمون في هذه الأمور
يا باشمهندس لكننا نحن النساء نستشعر
هذا بسهولة .. الأنسة جنة تبكي معظم
الوقت و بالكاد تقبل بأن تأكل أو تنام ؛
و ترفض حتى مجرد الحديث معك عما
تشعر به .. تغيرت أحوالها كثيراً هذه
الأيام و تعاستها الآن تختلف كثيراً عن
فتورها فيما مضى .. أظن أنها قد تعلق
بشاي ما و لا تستطيع أن تصارحك بهذا
.. و ربما لم تصارحه هو و قد لا تتجرأ

حتى على الاعتراف بمشاعرها هذه
و لا أمام نفسها .. مسكينة .. شابة في
ظروفها لن تستطيع أن تجذب اهتمام
الشباب الذي تحبه نحوها ؛ و ربما يكون
من سوء حظها أنها قد وقعت في الحب
.. فمن ذا الذي يمكن أن يحب

قاطعها رياض هاتفاً في حدة :

- كفى .. من سمح لك بالحديث عن جنة
بهذه الطريقة ؟ .. إياك أن أسمع هذا
الكلام منك مرة أخرى .. هل هذا
مفهوم ؟

عادت وديدة إلى المطبخ بينما أطرق
رياض برأسه ؛ و هو يفكر فيما قالته ؛
بدا له كلامها منطقياً و له وجاهته ؛ جنة
عاشت لعشر سنوات حبيسة في الشقة
لا تغادرها إلا لحضور لجان الامتحانات
؛ حتى الكلية دخلتها منتسبة و بصعوبة
أقنعها هذا العام فحسب بحضور

المحاضرات ؛ كان يأمل في أن تتمرد على وحدتها و تجد لنفسها صديقة أو عدة أصدقاء لكنها لم تفعل .. هي تقريباً لا تتحدث مع أحد سواه ؛ على الأقل حتى ظهر حسن .. فهل من الممكن أن ؟ .

طرد رياض الفكرة بسرعة و هو يذهب إلى شركته ؛ رغم أن كلام وديدة عن ابنته قد ألمه إلا أنه لا يستطيع أن ينكر أنها محقة ؛ شابٌ مثل حسن لا يمكن أن يفكر في الارتباط بفتاة في ظروف جنة .. صحيح أنها شابة جميلة و جذابة لكن الظلام الذي تعيش فيه سيقف حائلاً بينها و بين السعادة التي يتمنى أن تحظ بها .

في الصباح التالي غادرت جنة غرفتها و صاحبها والدها إلى الكلية ؛ كان يشعر بالارتياح لأنها فعلت هذا رغم أنها ظلت صامته و لم تنطق و لو بكلمة واحدة .

ذهب رياض إلى شركته و هو يفكر في أنها قد استأنفت حياتها كما كانت قبل أن تقابل حسن ؛ كما أنها لم تتكلم عنه أو عما قاله عن الجراحة التي من الممكن أن تعيد لها نظرها ؛ و كأنها تتجاهل باب الأمل الذي فتحه حسن على مصراعيه أمامها ؛ أو كأنها ترفض الاعتراف بوجوده .

لم يرغب رياض في الحديث معها في هذا الموضوع بالذات لأنه لا يرغب في الضغط عليها ؛ و خشي لو فعل أن تعود لحبس نفسها في غرفتها من جديد ؛ لكنه فكر في أن عليه زيارة حسن في المستشفى أو الاتصال به ؛ على الأقل ليفهم منه المزيد عن تلك الجراحة التي تحدث عنها ؛ و قبل أن يفعل فوجئ بزيارة حسن له في مكتبه بالشركة .

قابل رياض حسن بترحاب شديد ؛ بينما هتف حسن :

- آسف لمجيئي بدون موعد مسبق يا باشمهندس لكنني كنت أرغب في الاطمئنان على الأنسة جنة ؛ فقد كان من الواضح أن أعصابها هشة جداً .

هتف رياض بسرعة :

- أنا سعيد جداً بتشريفك لشركتي بالزيارة يا دكتور ؛ و أنت بالقطع صاحب مكان و لا تحتاج إلى تحديد مواعيد ؛ فأنا أسعد دوماً بمقابلتك في أي مكان و في كل وقت .. و شكراً على اهتمامك بابنتي .. كان من الواجب أن آتي أنا لزيارتك لأشكرك أولاً على فحوصك لها و لأطمئن على موضوع الجراحة الذي ذكرته هذا .. هل من الممكن فعلاً أن تستعيد جنة نظرها يا د / حسن ؟

جلس حسن أمام مكتب رياض ؛ و هو يهتف في هدوء :

- كما قلت لك يا باشمهندس .. حالة الأنسة جنة بسيطة نوعاً ما ؛ هي فقط تحتاج لجراحة .. و اطمئن .. الجراحة نسبة نجاحها مرتفعة جداً كما أنها ليست بها أية مخاطرة .

هتف رياض في ارتياح :

- الحمد لله .. خشيت طوال الوقت أن تكون إعاقة جنة دائمة ؛ أو أن يكون الأمل مفقوداً في علاجها .. ليتني أستطيع إقناعها بما تقول ؛ لكنها للأسف لا تسمع لي و لا تقبل الحديث في هذا الموضوع على الإطلاق .

هتف حسن في توتر :

- ألا زالت مصرّة على موقفها ؟ .. عنادها هذا ليس في صالحها يا باشمهندس و يجب أن تكون حازماً

معها ؛ أو .. هل لديك مانع لو تحدثت معها و حاولت إقناعها ؟

هز رياض رأسه نفيًا بقوة ؛ و هو يهتف :

- لا .. أبداً .. على العكس .. أتمنى لو تنجح فيما فشلت فيه ؛ لكن هذا لن يكون سهلاً .. جنة عنيدة و لا يمكن التأثير فيها بسهولة ؛ و هذا الموضوع بالذات حساس جداً بالنسبة لها حتى أنها كادت أن تنهار في الأيام الماضية ؛ و بالكاد غادرت البيت اليوم و ذهبت إلى الكلية .

صمت حسن لحظة ؛ قبل أن يهتف في حزم :

- دعها لي يا باشمهندس ؛ أنا سأحدث معها و قد أجد طريقة لإقناعها بالخضوع للجراحة ؛ لكن هذا ليس هو الموضوع الوحيد الذي أرغب في الحديث معها حوله .. هناك موضوع

أكثر أهمية بالنسبة لي و له الأولوية
عندي ؛ و لا أرغب في مفاتها به قبل
أن أحصل على موافقتك .. باشمهندس
رياض .. يسعدني و يشرفني أن أطلب
منك يد الأنسة جنة .. فما رأيك ؟

للحظة ظل رياض يحدق في وجه حسن
في ذهول ؛ لم يكن واثقاً مما إذا كان
حسن قد طلب منه يد ابنته فعلاً أم أنه
كان يهذي بما يتمناه .. زفر في حرارة
قبل أن يهتف :

- أنت ترغب في الزواج من جنة ؟ ..
أعني .. تعرف ظروفها يا دكتور ..
جنة كيفية .

ابتسم حسن و هو يهتف :
- هذا حالياً .. و أوكد لك على أن هذا
مجرد وضع مؤقت و من الممكن تغييره
عندما تكون لدى جنة رغبة صادقة في

هذا .. و في كل الأحوال .. استعادتها
لبصرها من عدمه لا يؤثر على رغبتني
في الارتباط بها .. هذا إذا وافقت طبعاً
و لم يكن لديك اعتراض على شخصي .

هتف رياض في صدق :

- بالطبع ليس لدي أي اعتراض .. أي أب
سيسعد كثيراً بمصاهرتك يا دكتور
و لكن .. هل أنت واثق فعلاً من قرارك
هذا ؟ .. أقصد .. جنة عنيدة و قد لا
تقتنع بالخصوع للجراحة بالبساطة التي
تتخيلها .. لا أدري لما هي يائسة لهذا
الحد ؛ و كأنها تستكثر على نفسها
السعادة حتى أنني لا أظن أنها ستوافق
على الزواج .

اتسعت ابتسامة حسن و هو يهتف في
ثقة :

- إذا وافقت على زواجنا من حيث المبدأ
يا باشمهندس دع جنة لي .. ربما

أستطيع إقناعها بأن الحياة جميلة
و تستحق أن تكافح لأجلها بدلاً من
الاستسلام أمام مصاعبها و الرضوخ
لها.

الفصل السادس

كانت جنة تجلس في قاعة المحاضرات بعد أن انتهت المحاضرة و غادرها جميع الطلاب ؛ لم تكن ترغب في الاتصال بوالدها فهي لم تكن تتعجل العودة إلى البيت ؛ هي تعيش في ظلامٍ دامس و أحياناً تشعر بأن الأماكن كلها سيات .. و حتى الأزمنة .. فهي لا تشعر بالفرق بين الليل و النهار .. كل ما تشعر به هو أنها كانت تخشى الظلام عندما كانت صغيرة و لم تكن تتخيل أن تصبح حياتها كلها مظلمة طوال الوقت .. و إلى الأبد .

عندما دخل حسن إلى القاعة و اقترب منها ؛ تنهدت في حرارة قبل أن تهتف :

- ماذا تفعل هنا ؟ .. هل تعاني نقصاً في عدد المرضى هذه الأيام ؟

جلس حسن بجوارها ؛ و هو يهتف في
هدوء :

- مدهش .. كيف عرفتِ أنه أنا ؟

التقطت جنة حقيبة يدها الصغيرة من
فوق النضد و نهضت و هي تهتف :

- ألأنني كيفية ؟ .. لديّ حواس أخرى
أستطيع استخدامها ببراعة ؛ و رائحتك
مميزة .. لا أظن أنني شممتها في هذه
القاعة من قبل .

ظل حسن جالساً ؛ و هو يهتف في
هدوء :

- هذا صحيح .. شقيقتي تعيش في باريس
و تشتري هذا العطر دوماً لأجلي فهو
يروق لي و لا أظن أنه منتشر هنا ..
و ماذا أيضاً ؟ .. لديكِ حواس أخرى ؛
أليس كذلك ؟

هتفت جنة في ضيق عندما لم ينهض
ليسمح لها بالمغادرة :

- بلى .. خطوتك لها إيقاع ثابت و منتظم
؛ هادئة و متأنية .. أقدام الطلبة هنا
نادراً ما تلامس الأرض ؛ و كأنهم
يقفزون طوال الوقت .

صمتت و هي تفكر في أنها لم تعرفه
بأذنيها أو بأنفها بل عرفته بقلبها ..
ارتجف بمجرد أن اقترب منها و لا زال
يرتجف .. شعور غريب و مخيف لا
تعرف من أين بدأ و لا تدري متى
سينتهي ؛ لكنها تدرك حتماً أنها يجب أن
تقاومه و لا يمكن أن تستجيب له .

نهض حسن فجأة و هو يهتف :

- لماذا سكتِ ؟ .. أنا واثق من أن هذا
ليس كل ما ترغيبين في قوله لكنك لستِ
صريحة ؛ و تفكرين كثيراً قبل أن
تتكلمي .. لما أنتِ متحفظة معي كثيراً

يا جنة ؟ .. لا أظن أنني قد فعلت شيئاً
قد يجعلك عدائية لهذا الحد .

هتفت جنة في توتر :

- أنا لا أفهم ما الذي تفعله هنا .. لما لا
تتركني في حالي ؟ .. أظن أن العادة قد
جرت على أن يذهب المرضى إلى
الأطباء لا العكس ؛ و أنا لا أحتاج
لخدماتك .

ارتجفت عندما هتف حسن في هدوء :

- لكنني لست هنا كطبيب بل كصديق ..
و ربما تصيح لي صفة أخرى بعد
بعض الوقت ؛ فلما لا نذهب الآن
و نناقش رفضك الغريب للعلاج و نحن
في طريقنا إلى البيت ؟

جلست جنة و هي تهتف في حدة :

- و من قال أنني سأذهب معك ؟ .. أنت
مجرد شخص غريب و متطفل ؛ و أنا

لا أرغب في مساعدتك لي .. سأنتظر
والدي .

هتف حسن في هدوء مستفز :
- لا أنصحك بهذا ؛ لأنك ستنتظرين كثيراً
بلا جدوى ؛ فوالدك لن يأتي .

زمت شفيتها ؛ و هتفت في عناد :
- بل سيأتي .. والدي لا يتركني وحدي
أبدأ .

جلس حسن بجوارها مرة أخرى ؛ و هو
يهتف في استرخاء :
- لكنك لست وحدك فأنا معك .. والدك
يعلم أنني هنا يا جنة و سمح لي
بتوصيلك ؛ لذا يمكنك الانتظار
و إضاعة الوقت أو يمكنك الذهاب معي
.. لكنني أنصحك بعدم التردد فقد يدخل
أحد الطلبة إلى القاعة و لن يكون شكلنا

لطيفاً ؛ و قد يثير وجودنا هنا وحدنا
بعض الأقاويل و كلانا في غنى عنها .

نهضت جنة و سارت بجواره ؛ و عندما
كادت أن تتعثر أسرع حسن يحتويها بين
ذراعيه قبل أن يفلتها و هو يرى
بوضوح الحمرة التي علت وجهها
و ارتباكها ؛ ثم أمسك يدها و علقها
بساعده و هو يهتف :

- هكذا سيكون أفضل .. و اطمئني ..
سيارتي قريبة و لن تتحملي هذا الوضع
سوى للحظات معدودة .

لم تنطق جنة بحرفٍ واحد ؛ كانت تكافح
لتسيطر على ارتجاف جسدها بلا جدوى
؛ كما كانت تعرف بأنه يشعر به
و يدرك أنه يؤثر فيها و كان هذا يجعل
توترها يزداد ؛ و عندما جلست في
سيارته انطلق حسن بها و هو يهتف :

- أعمل في هذه المهنة منذ عشرة أعوام تقريباً .. قابلت العديد من الحالات و و انتنتي الفرصة لإجراء عدد لا بأس به من الجراحات الناجحة ؛ لكنني لم أتساءل من قبل قط عن شعور المرء عندما لا يستطيع أن يبصر .. بالأمس أغمضت عيني لخمس دقائق .. خمس دقائق فحسب .. و حاولت أن أسير في غرفتي التي عشت بها لسنوات طويلة و كنت أظن أنني أحفظها عن ظهر قلب .. الغريب هو أنني قد تعثرت في كل شيء تقريباً ؛ و شعرت بالضيق و الاختناق و لم أتحمل الظلام فقد كان يثير أعصابي .. كنت أطمح في أن أتحمل التجربة و لو لعشر دقائق لكنني لم أنجح .. و أنتِ تحملتِ هذا لعشر سنوات كاملة .. أليست مدة طويلة جداً يا جنة ؟ .. لا أصدق أنكِ لا ترغبين في رؤية الحياة مرة أخرى .

لم تستطع أن تقول له أنها فعلاً لا ترغب في رؤية الحياة فليس في حياتها ما يستحق أن تراه ؛ و لم تجرؤ على أن تعترف له بأنها تكره الظلام و تخشاه ؛ و أن كل لحظة مرت عليها في هذه السنوات العشر كانت رتيبة و مريرة كما لو كانت دهنأً بأكمله لكنها مع هذا لا تريد الأمل الذي يعرضه عليها ؛ فهي في قرارة نفسها تعرف أنها لا تستحقه ..

ارتكبت جريمتها دون أن يراها أحد و أراد القدر معاقبتها بما هي فيه ؛ و هي لن تحاول التنصل من العقاب ؛ لأنها تعرف أنها تستحقه .

لمح حسن سيارة شقيقه في الاتجاه المعاكس فلوح له بالسلام قبل أن يبتعد في الزحام ؛ كانت جنة تجلس بجواره صامئة و قد بدا و كأنها قد غرقت في

تفكير عميق ؛ و شعر بأنها شاردة العقل
حتى كأنها لم تسمع ما يقول .. زفر في
حرارة عندما همست :

- إذا كانت مهارتك كطبيب كمهارتك في
الإقناع فيمكنني أن أقطع بفشل الجراحة
من الآن .. أظن أنك قد حاولت بجدية
يا دكتور لكنني حالة ميئوسٌ منها
و أنصحك بالأ تضيع وقتك معي .. أنا
واثقة من أن لديك العديد من المرضى
هم أولى بوقتك و اهتمامك و من
الأفضل لو تتركني في حالي و توفر
رعايتك لهم .. أنا لا أريد أن أرَ الحياة
و لا أظن أنني أستطيع أن أفعل حتى لو
أردت .. أنا أرضى بنصيبي و أصبر
عليه و يجب أن تتفهم هذا و تقدر موقعي
لأنني فعلاً قد تعبت ؛ و لا أريدك أن
تقتحم حياتي بأكثر مما فعلت ؛ فأنا
أساساً لا أفهم لما تفعل هذا و لا ما الذي
تريده مني .

أوقف حسن سيارته أسفل البناية التي
تقيم بها ؛ و التفت نحوها هاتفاً :
- ما الذي أريده منك ؟ .. الإجابة ليست
سهلة و شرحها سيطول .. و لماذا أفعل
هذا ؟ .. أظن أنك تعرفين إجابة هذا
السؤال بالذات يا جنة لكنك تتهربين منها
.. في كل الأحوال .. أنا رجل أحب
الصراحة و الوضوح ؛ و أفضل دوماً
أن أطرق الحديد و هو ساخن و أن
أضع النقاط فوق الحروف .. لذا عليكِ
قبول دعوتي على الغداء الآن لأن لديّ
الكثير من الكلام و يجب أن تسمعيه .

غادر حسن السيارة و دار حولها
بسرعة قبل أن يفتح الباب المجاور لها
و يدعوها للنزول .. و قفت جنة بجوار
السيارة و هي تهتف في توتر :
- أين نحن ؟ .. أريد العودة إلى البيت .

أمسك حسن بمرفقها و دفعها إلى السير
بجواره برفق ؛ و هو يهتف :
- نحن تقريباً بالبيت يا جنة .. هل كانت
لديكِ فكرة عن المطعم الموجود أسفل
البنية التي تقيمين بها ؟ .. لأنه مطعم
رائع و يقدم أفضل أنواع المشويات ..
أنا أتصور جوعاً و أظن أنكِ مضطرة
للتناول الغداء معي قبل أن أصحبك إلى
شقة والدك .

هتفت جنة في ضيق :
- لما تظن أنني سأقبل بأن تعاملني بهذه
السخافة ؟ .. لا أريد دخول المطعم
و بالتأكيد لن أتناول غدائي معك ..
خذني إلى المصعد ثم عد لتأكل كما
تريد .

دفعها برفق لتجلس إلى إحدى الموائد
و هو يهتف :

- لا يروق لي الآن الذهاب إلى المصعد ..
صوت معدتي الآن أعلى من صوتك
يا أنستي و إرضاؤها حالياً أهم من
إرضاءك .. قل لي .. ماذا ستأكلين ؟

انهمرت دمعة على وجه جنة ؛ فتنهد
حسن في حرارة و جلس على المقعد
المواجه و هو يهتف :

- هل رأيتِ ؟ .. شعورك بأنكِ تحت
رحمة أي شخص و مزاجه شعور بشع
؛ و أنتِ للأسف مضطرة لهذا طوال
الوقت .. بينك و بين غرفتك أقل من
دقيقة لكنك لن يمكنكِ الذهاب إليها بدون
مساعدة .. و هذا الوضع المؤلم سيتغير
نهائياً إذا كنتِ عاقلة و وافقتِ على
الخشوع للجراحة .

استدعى حسن النادل و طلب منه الطعام
قبل أن يلتفت نحو جنة التي ظلت تبكي

في صمت ؛ و عندما ابتعد النادل
همست :

- لماذا تحاول إذلالي ؟ .. لتشعرنني
بالعجز ؟ .. أنا لا أنكر عجزني ؛
و أعرف أنني أعيش كعالة على والدي
و لا أحتاج إليك لتذكرني بما لا أستطيع
أن أنساه .

هتف حسن في هدوء :

- أنتِ لا تجهلين حقيقة وضعك يا جنة
لكنك استحلتيه و لا تحاولين تغييره ..
أمامك فرصة حقيقية تصرين على أن
تديري ظهرك لها .. أنا لا أفهم لما
تستعذبين عذابك .. ألا تريدين أن تري
الحياة و تستمتعي بكل ما فيها ؟

فكرت في مرارة :

- لا .. لا أريد أن أرَ الحياة و لا أستحق
حياتي .. أنا مجرمة و أستحق أن أظل
أخبط في الظلام لآخر عمري و لا

أظن أنك تستطيع انتشالي مما أنا فيه ..
يمكنك أن تعاند القدر يا حسن لكنك لن
تستطيع تغييره .

ظلت جنة تبكي في صمت و حسن يتأملها
في إشفاق حتى عاد النادل و وضع الطعام
على المائدة ؛ ثم انصرف .. قبل أن يهتف
حسن :

- جنة .. لما لاتكفين عن البكاء و تتناولي
غداك ؟ .. إذا كنتِ تشعرين بالحرج
لأننا في مكان عام ؛ فلا بأس
يا عزيزتي .. يمكنني إطعامك بيدي .

هتفت جنة في ضيق :

- فعلاً .. بأي حق ؟

مد حسن يده و أمسك كفها ؛ و هو
يهتف مبتسماً :

- بالحق الذي أعطاه والدك لي .. أنا طلبت منه يدك و هو وافق على طلبي مما يعني أنك الآن خطيبي يا عزيزتي .. و إذا أردت تدليك فلا أحد يستطيع أن يمنعني .

سحبت جنة كفها من بين أصابعه و هي تنتفض ؛ شحب وجهها بشدة و بدا و كأنها تلتقط أنفاسها بصعوبة ؛ حتى أن حسن قد عقد حاجبيه بشدة و هو يهتف :

- كنت أعرف أنها مفاجأة .. لكنني لم أعتقد أنها صدمة لك لهذا الحد .. ما بك يا جنة ؟ .. ألا توافقين على خطبتنا ؟

هتفت جنة في توتر :

- أنت تهذي حتماً .. ألا ترى بنفسك ؟ .. أنا كفيفة .

نظر إليها حسن في استغراب قبل أن يهتف :

- أعراف يا جنة ؛ و لكن .. هل هذا يمنع زواجك مني ؟ .. أو يمنع زواجك من أي شخص ؟

هتفت جنة في عصبية :

- بلى يمنع .. أنت قلت بنفسك منذ دقيقة واحدة أنني عبء على والدي .. أنا عاجزة يا حسن .. فما الذي يجعلك ترغب في الزواج من فتاة ستكون عالية عليك و ستحبسك معها في عاهتها ؟

مد حسن أنامله و نزع النظارة السوداء التي تخفي عينيها و ألقاها جانباً ؛ عيونها التي لا ترى الضوء كانت تسبح في بحرٍ من الدموع و هي تعكس شعورها بالخوف و التوتر .. نظر إليهما حسن و هو يهتف في صدق :

- لأنك لم تتركي لي خياراً آخر يا جنة ..
فأنا أحبك .

الصدق في صوته لمس قلبها و جعلها
ترتجف ؛ لا يمكن أن يكون هذا يحدث
فعالاً ؛ حسن لا يمكن أن يعرض الزواج
على فتاة في ظروفها و هو بالتأكيد لا
يجبها ..

هي لا تستحق حبه و لا تستحقه و لا
تستحق السعادة التي يستطيع أن يمنحها
لها ؛ و لا يمكن أن تصدق أن هذا من
الممكن أن يحدث فعالاً ؛ فالقدر الذي
أصر على تعذيبها لعشرة أعوام كاملة لا
يمكن أن يكون قد عفى عنها أخيراً ؛
و سيتوقف عن معاقبتها .

هبت جنة واقفة و همت بالمغادرة ؛ لا
يمكن أن تظل هنا و لا للحظة واحدة
أخرى ؛ لأنها لا تريد أن تسمع هذا

الكلام منه و لا يمكنها تصديقه ؛ عندما
تخبطت في الموائد و تعثرت بها ؛
أسرع حسن يصحبها إلى المصعد
و يركب معها حتى باب شقة والدها .

رن جرس الباب و فتحته وديدة ؛
فأسرعت جنة نحو غرفتها و أغلقت
الباب خلفها و ارتمت في فراشها ؛
و هي تنفجر باكية في حرقة .

الفصل السابع

عاد أحمد إلى منزله و هو يبدو شاردا الذهن على غير العادة ؛ وضعت زوجته سوسن الطعام على المائدة و هي تنتظر إليه بطرف عينها قبل أن تبتسم فجأة و هي تهتف :

- ما بك يا أحمد ؟ .. هل حدث في الكلية شيء يزعجك ؟

تردد أحمد لحظة ؛ قبل أن يهتف :

- ليس في الكلية .. لمحت حسن في طريق الجيش اليوم و لم يكن وحده .. هل تذكرين الطالبة الكفيفة التي حدثتك عنها من قبل ؟ .. كانت تجلس بجواره في السيارة .

رفعت سوسن حاجبها و هي تهتف :

- مدهش .. إحساس ماما درية لا يخيب أبداً .. هي كانت تشعر بأن هناك شيئاً

ما بين حسن و هذه الفتاة .. لكنني لا أفهم .. ما الذي يزعجك في هذا ؟

هتف أحمد في توتر :

- حسن يتورط بسرعة في هذه العلاقة ؛
و هي غير متكافئة .. لا أدري كيف يفكر ؟

تعلمت سوسن برقيبته ؛ و هي تهتف في دلال :

- ربما هو لا يفكر .. ربما هو يحبها
يا أحمد و أنت تعرف الحب ؛ أم أنك نسيت ؟

هتف أحمد في ضيق :

- ألم يجد سوى هذه الكيفية كي يحبها ؟

سحبت سوسن ذراعها ؛ و هي تهتف في استنكار :

- كأني أسمع ماما درية و هي تتحدث لا أنت يا أحمد .. ألم يكن هذا هو نفس ما قالته لك عندما أردت الزواج مني ؟

شعر أحمد باستياءها فأحاط خصرها بكفيه و هو يهتف :

- هذه نقرة و تلك نقرة أخرى تماماً يا زوجتي العزيزة .. ثم إن أمي كانت مجحفة في حقك و رفضت زواجنا لأسباب لم يكن لك ذنب فيها .. حادثة عمي - رحمه الله - مستنا جميعاً لا أنتِ فحسب ؛ و لم يكن من المنطق أن تتركها تشوه حياتنا بأكثر مما فعلت .

تنهدت سوسن و هي تهتف :

- لا يا أحمد .. ماما درية كانت لها وجهة نظر قد يتفق معها فيها الكثير من الناس .. من حقها أن ترفض أن تزوج ابنها البكر لفتاة في ظروفها لكن حبك لي أعماك عن هذا .. مرأة الحب عمياء

يا أحمد فلا تلم حسن على أنه لا يرى
عيوب حبيبته التي يستطيع أن يراها
الجميع .

هتف أحمد في توتر :

- و من قال أنه قد أحبها فعلاً يا سوسن ؟
.. متى و كيف ؟ .. قابلها صدفة
و كلمها مرة أو مرتين و هذا كل شيء
.. أغلب الظن أنه يتعاطف معها .

ضحكت سوسن و هتفت :

- على اعتبار أنها أول مرة يتعامل فيها
أخوك مع فتاة كفيفة .. حسن طبيب
عيون يا أحمد ؛ و أنا واثقة من أنه قد
مرت عليه حالات كثيرة مشابهة لحالة
هذه الفتاة ؛ و لم نسمع من قبل قط بأنه
قد تورط في علاقة مع أية واحدة منهم
.. هذه المرة الوضع مختلف .

جلسا يتناولان غداءهما معاً ؛ بينما أحمد لا زال يفكر في كلام زوجته قبل أن يهتف :

- سأتصل به و أدعوه لتناول العشاء معنا الليلة ؛ فما رأيك ؟ .. أعتقد أنني يجب أن أتكلم معه بصراحة و أعرف ما الذي بينه و بين الفتاة بالضبط ؟

هتف سوسن في حزم :

- لديك حق .. ادعوه الليلة و تكلم معه و لكن .. إذا كان حسن يحب تلك الفتاة فعلاً و يرغب في الارتباط بها فإن حماتي العزيزة ستقلب الدنيا فوق رأسه .. كن مستعداً لتقف بجوار أخيك ؛ فالمعركة مع ماما درية لن تكون سهلة .. أنا عن نفسي لو أحسست بأنه صادق في عواطفه نحو الفتاة فلن أتردد في تشجيعه على الزواج منها .

- قبل أحمد كف يدها و هو يهتف :
- أنتِ بالذات يجب أن تظلي خارج هذا الموضوع تماماً يا حبيبتى .. مرّ على زواجنا ثماني سنوات كاملة و لا زالت أمي تشعر بالاستياء منا و لا نريدها أن تقلب القديم على الجديد و أنتِ تعرفين أمي .. اتفقنا .
- في المساء أتى حسن لزيارتهم فعلاً ؛ كان يجلس مع شقيقه و هما يشربان القهوة معاً بينما ذهبت سوسن لتضع أولادها في أسرتهم ؛ عندما هتف أحمد في استياء :
- ألم تتعجل كثيراً في طلب يدها يا حسن ؟ .. كان عليك أن تمنح نفسك بعض الوقت ؛ على الأقل حتى تختبر مشاعرك .

- هتف حسن في هدوء :
- أعرف مشاعري جيداً يا أحمد و ليس لديّ شكّ فيها .. صحيح أن جنة قد

دخلت حياتي منذ أيام قليلة لكن الزمن لا وزن له في عمر الحب .. مشاعري نحوها بدأت قوية و جياشة و لا لبس بها .. ثم من قال أن الحب يعتمد على أسباب أو ينبنى على مقدمات أو أنه يجب أن يصل إلى نتائج .. المشاعر لا يمكن الحكم عليها بميزان المنطق و المعقول ؛ و ليست هذه هي المشكلة .. المشكلة في جنة نفسها .. لا أعرف حقيقة عواطفها نحوي و أشعر بأنني قد ضغطت عليها و صدمتها بطلبي ؛ و هي لم تكن مستعدة لهذا الآن .

هتف أحمد في اهتمام :

- أتظن أنها قد ترفض الزواج كما ترفض العلاج ؟ ..

وضع حسن قرح القهوة جانباً ؛ و هو يهتف :

- لا أدري .. أتمنى فعلاً لو يستطيع والدها إقناعها بي كزوج أو كطبيب لكنني أشعر بأنه قد يفشل في هذا و ذاك .. جنة تشعر باليأس و تستسلم للظلام الذي سرق منها أجمل سنوات مراهقتها و شبابها و ليست لديها رغبة في أن تقاوم ظروفها .. أشعر أحياناً بأنها تكره حياتها و ترغب في التخلص منها لكنها لا تجد الشجاعة لتفعل .. ربما .. ربما لو تحركت عواطفها نحوي كما أتمنى لرغبت في ارتباطنا .

ابتسم أحمد و هو يهتف :

- على العكس .. الفناة مشوشة .. تشعر بالعجز و اليأس ؛ و لا تجد في حياتها ما يستحق أن تكافح لأجله .. ظهور شاب مثلك في حياتها الآن سيجعلها أكثر تشوشاً .. من الصعب أن تصدق أنك صادق في عواطفك نحوها فهي بالتأكيد تعاني من انعدام ثقتها بنفسها ؛

و قد تتقبل فكرة أنك تشفق عليها بالنفور منك ؛ و إذا مالت عواطفها نحوك ستعتبر هذا تطاولاً منها على شيء هي ليست جديرة به و لا تستحقه .. و قد ترى أن زواجها منك جناية عليك ؛ و حبها لك سيجعلها ترفضك لتحملك من نفسك و تنأى بك من أن تتورط معها .

عقد حسن حاجبيه بشدة و هو يفكر في كلام شقيقه ؛ يعرف أن أحمد يتكلم كأستاذ لعلم النفس و أن كلامه يجب أن يؤخذ على محمل الجد .. فكر في جنة .. هل من الممكن أن ترفضه فعلاً حتى لو كانت تميل إليه كما يقول أحمد ؟ .. هل يمكن أن تفعل ؟

لم يكن يعلم أن جنة لا تزال تحبس نفسها في غرفتها ؛ رفضت أن تتناول العشاء مع والدها و ظلت مستلقية في فراشها و هي دامعة العينين ..

عندما دخل والدها إلى غرفتها و جلس
على طرف فراشها همست :

- لا تتكلم عن حسن ؛ أرجوك .. أنا لا
أريده أن يعالجنني .. و بالتأكيد لن
أتزوجه .

زفر رياض في حرارة ؛ قبل أن يهتف :
- لن أتكلم في موضوع الجراحة .. تكلمنا
في هذا الموضوع كثيراً من قبل و لم
نصل إلى نتيجة ؛ و أنا لا أريد أن
أضغط عليك .. حتى حسن يرى أن
الجراحة لن تنجح لو لم يكن لديكِ رغبة
حقيقية في الشفاء .. لكننا يجب أن نتكلم
في موضوع الزواج يا جنة .. حسن
شاب أكثر من ممتاز و لم أكن أتمنى لكِ
زوجاً أفضل منه و لا أفهم لما تصرين
على الرفض ..

مدت جنة يديها و لمست والدها لتعرف
أين هو ؛ قبل أن ترمي نفسها في صدره

و هي تبكي في حرقه .. لم تكن مستعدة
 للكلام معه و لا حتى لسماعه ؛ و لم
 يكن والدها يفهم لما تبدو دوماً و كأنها
 تخفي عنه هماً ثقيلاً ينوء قلبها بحمله
 لكنها لا تستطيع أن تبوح به .

ظلت تبكي بين ذراعيه حتى نامت ؛
 و عندما أسدل الأغطية على جسدها
 و عاد إلى غرفته كانت الدموع لا تزال
 تتسرب من بين أهدابها ؛ قبل أن يبدأ
 جسدها في الارتجاف بشدة و هي
 تهمس :

- سامحيني .. أرجوك .. سامحيني .

قبل أن تهب جالسة في فراشها و هي
 تصرخ في زعر و تبكي بلا هوادة ؛
 بينما اندفع والدها إلى غرفتها و ضمها
 إلى صدره و هو يهتف :

- لا حول و لا قوة إلا بالله .. إلى متى
ستظل تلك الكوابيس تطاردك يا ابنتي ؟
.. أصبحت تداهمك كل ليلة تقريباً .

همست جنة في لوعة :

- حياتي كلها كابوس لا يريد أن ينته ..
ليتني أموت لأرتاح من هذا العذاب ..
أريد أن أموت يا أبي .. أريد أن أموت .

انهمرت الدموع من عيون رياض و هو
يهتف :

- لا يا جنة .. لن تموتي .. بل يجب أن
تعيشي يا ابنتي .. ستعيشين في السعادة
التي تستحقينها و مع الرجل الذي
يستطيع أن يرعاك و يحميك .. حسن
يعرف ظروفك كلها و نحن لم نخف
شيئاً عنه ؛ و ما دام يرغب في الارتباط
بك فمن المستحيل أن نقول له لا .

فكرت جنة في لوعة :

- أنت لم تخفِ شيئاً عنه يا أبي لكنني أنا
أخفي الكثير .. لا أستطيع أن أصارحه
بما أخفيه حتى لا يرى حقيقتي البشعة ..
أنا مجرمة و لا أستحق السعادة التي
يستطيع أن يمنحها لي .. و إذا عرف
حسن الحقيقة سيكرهني و يحتقرني
و لن يستطيع أن يغفر لي .. أنا أتعذب
يا أبي و لا شيء سوى الموت يستطيع
أن يريحني من هذا العذاب .

الفصل الثامن

كان حسن قد غادر غرفة العمليات و عاد إلى مكتبه لتوه عندما وجد رياض جالساً في انتظاره ؛ أشرفت ابتسامة واسعة على وجه حسن و هو يصفح رياض في ترحاب هاتفاً :

- أهلاً أهلاً يا باشمهندس .. لا تعلم كم تسعدني زيارتك هذه فهي تتبني بأنك تحمل لي البشرى التي أتمناها .

هتف رياض في تردد :

- قلت لك من قبل أن أي أب يسعده كثيراً أن يأتني على ابنته الوحيدة شاباً مثلك ؛ و أنني لن أجد لابنتي زوجاً خيراً منك و لكن .. جنة لا زالت تصر على موقفها بخصوص الجراحة و هي لا تريد أن تخضع لها .

هتف حسن بسرعة :

- لا بأس .. هذا لا يغير شيئاً في رغبتى
 في الارتباط بها يا عمى .. لذا أتمنى لو
 شرعنا في إجراءات الخطبة بسرعة
 و أرجأنا الحديث عن الجراحة الآن ..
 غداً الخميس .. فما رأيك لو أتيت
 لزيارتكم لقراءة الفاتحة و الاتفاق على
 كل التفاصيل ؟ .. و بالطبع سيكون
 والدى و شقيقى أحمد معى .

ظهر الارتياح على وجه رياض ؛ و هو
 يهتف :

- سيكون هذا مناسباً جداً .. و لكن .. ماذا
 عن والدتك ؟ .. أهى متوفية ؟

هز حسن رأسه نفيماً ؛ و هتف فى
 صراحة :

- لا .. أمى على قيد الحياة لكنها متحفظة
 قليلاً فى موضوع ارتباطى أنا و جنة
 و لا أظن أنها ستحضر معى غداً .. فى
 كل الأحوال يا عمى أريدك أن تثق فى

أنني رجل على قدر كلمتي و أعرف
 كيف أصون كرامة امرأتي و أحميها
 من كل الناس و أولهم أُمي .. فلا تجعل
 موقفها هذا يقلقك ؛ فأنا واثق من أنها
 ستراجع عنه عندما ترى بعينيها أن
 جنة هي الزوجة التي أتمناها و تستطيع
 إسعادي .

كان حسن محقاً في أن أمه ستفرض
 الذهاب معه لخطبة جنة ؛ فقد وبخته
 كثيراً قبل أن تدخل إلى غرفتها و تجلس
 في فراشها و هي غاضبة ؛ لم يحاول
 حسن كثيراً إقناعها بوجهة نظره فقد
 كان يعلم أن أمه ليست من النوع الذي
 يمكن إقناعه كما أنه لا يمكن أن يتراجع
 عن موقفه ..

يحب جنة فعلاً و هذا ما لا تستطيع أمه
 أن تفهمه لكنه كان يأمل في أن تفهم
 موقفه ذات يوم و تقبل بالأمر الواقع .

كان كمال يرتدي ثيابه استعداداً للذهاب مع ابنه ؛ عندما هتفت درية في حلق :

- أنا لا أفهمك .. كيف توافق ابنك على هذه الحماسة ؟ .. المفروض أن تقف في وجهه و ترده إلى صوابه قبل أن يجني على نفسه بهذه الزيجة .

التفت إليها كمال ؛ و هتف في هدوء :

- ابنك ليس مراهقاً في السابعة عشر من عمره .. حسن رجل ناضج و مسئول عن نفسه و عن حياته قبل أن يكون مسئولاً عن عشرات المرضى الذين يتعلق مصيرهم في رقبته .. و ما دام يرى أن هذا الزواج يناسبه فالمفروض يا درية هانم أن نبارك اختياره و ندعو له بالتوفيق لا أن نعامله كما لو كان طفلاً أو فاقد الرشد .. أولادك كبروا يا هانم و لم يعد من المقبول أن تضربهم على أصابعهم و أنت تقررين

لهم ماذا عليهم أن يفعلوا و ما الذي
يجب أن يتجنبوه .. و لا تنسي أنك قد
فعلت المستحيل لتفسخي خطبة أحمد
و سوسن عقب حادثة أخي و لم تفلحي ؛
فلا تكرري خطئك مرة أخرى ..

هتفت درية في تذمر :

- ربما كنت مخطئة في موضوع سوسن
لكن الوضع الآن مختلف .. ابنك يرمي
نفسه في شباك فتاة لا تليق به و لا
تستحقه ؛ و أنا لست مستعدة لأن أبارك
جنايته على نفسه .

هتف كمال في حزم :

- اسمعي يا درية .. أنا لن أسمح لك بأن
تفسي فرحة ابنك و لا أن تخرجي
موقفه أمام صهره .. انهضي فوراً
و ارتدي ثيابك و اغتصبي ابتسامة لأني
ستذهبين معنا الآن .. و هذا حكم لا يقبل
النقض و لا الاستئناف .

هتفت درية في حدة :

- ما معنى هذا ؟

هتف كمال في حزم :

- معناه أنك ستفعلين الواجب و الأصول
و لو رغم أنفك يا هانم .. لن أسمح لك
بأن تقصري رقبة ابنك أمام أنسبائه و لا
أن تكسري بخاطر الفتاة المسكينة .

هتفت درية في حدة :

- منذ متى و أنت تعاملني بهذه الطريقة
يا سيادة المستشار ؟ .. نحن لسنا في
المحكمة و أنا لست ساعي مكتبك
لتأمرني كما تشاء .

هتف كمال في صرامة :

- زوجتي تطيع حكمي و لو على رقبتها
يا هانم ؛ هذا لو كانت تريد أن تظل
على ذمتي .. و إلا فلا مانع عندي من

أن يحرر المأذون الذي سيعقد لابنك
وثيقة طلاقنا في نفس الليلة .

كان رياض يشعر بالسعادة و هو يستقبل
حسن في بيته ؛ خاصةً أن درية قد
دخلت إلى الشقة و هي متعلقة بذراع
كمال و على وجهها ابتسامة سخيفة و لا
معنى لها .. لكن مجرد وجودها جعل
رياض يشعر بالارتياح و الطمأنينة ..

جلست درية صامتة و هي تتأمل مظاهر
الثراء البادية على المكان في شيء من
الضيق ؛ و هي تفكر في أن هذا النسب
كان من الممكن أن يسعدها كثيراً
و ترحب به لو لم تكن جنة كفيفة ؛ و
هي لا تدري كيف يربط ابنها مصيره
بفتاة لا تستطيع أن تراه .

كان الجميع عدا درية يقرؤون الفاتحة ؛
قبل أن يهتف حسن في ابتهاج :

- أريد أن نتكلم في التفاصيل لتكون مطمئناً على ابنتك يا عمي .. أحضرت معي الشبكة و أنا مستعد لدفع المهر الذي تراه مناسباً و أتمنى لو نحدد موعد عقد القران الآن ؛ و كلما كان هذا بسرعة كان هذا أفضل .

ضحك كمال و هتف :

- الآن تتعجل عقد القران و الزفاف ؟ .. سبحان الله .. أنا و أمه يا باشمهندس نلح عليه في مسألة الزواج هذه منذ عشر سنوات على الأقل و هو كان يتهرب منا ؛ لكن الآن .. أرجوك يا باشمهندس أن تجعل عقد القران و الزفاف في أقرب موعد ممكن و يا حبذا لو كانا في ليلة واحدة ؛ فأنا أيضاً لا أطيق صبراً و أتمنى أن أحضر زفاف ابني و أن أحمل أولاده قبل أن أموت .

هتف أحمد مبتسماً :

- أطال الله عمرك يا أبي .. المهم هو كم من الوقت ستحتاجه الشقة لتصبح جاهزة للسكن ؛ فهذا هو الأساس قبل أن نحدد موعد الزفاف .

هتف رياض في حيرة :

- أية شقة ؟

هتف حسن بسرعة :

- شقتي يا عمي .. لديّ شقة في جليم جاهزة على وضع الأثاث بها و يمكنني تأثيثها بالكامل خلال أسبوعين أو ثلاثة على الأكثر .. أي أننا يمكننا تحديد الزفاف بعد شهر من الآن ؟

هتف رياض في تردد :

- بعد شهر ستبدأ الامتحانات و جنة في السنة النهائية و لن يكون الوقت مناسباً ثم .. مسألة الشقة هذه لن تكون مناسبة

لظروف جنة ؛ أتمنى لو تقبل الإقامة هنا و أنا مستعد لتغيير أثاث الشقة بالكامل لو أردت ؛ فهي تألف المكان و يمكنها أن تتحرك فيه بسهولة .. و يمكنني أنا أن أنتقل للإقامة في مكانٍ آخر لو كان وجودي هنا سيسبب أي إزعاجٍ لكما .

هتف حسن بسرعة :

- لا سمح الله يا عمي ؛ هذا بيتك و أنا ابنك و سيسعدني الإقامة معك .. على الأقل في الوقت المناسب ستكون جنة مستعدة لاختيار أثاث شقتنا بنفسها .. عموماً .. هذا سيوفر علينا الكثير من الوقت و يمكنني شراء غرفة نوم جديدة غداً فحسب و ...

قاطعته درية هاتفة في استياء :

- ما هذا الهراء ؟ .. هل تقبل بأن تتخل عن الشقة التي اشتريتها من حر مالك

لتعيش ضعيفاً على حماك ؟ .. المفروض
أن

قاطعها كمال هاتفاً في حزم :
- هذا ليس من شأنك يا درية .. هذه
التفاضيل تخص حسن فحسب و ليس
من حق أحد أن يتدخل بها .. ثم إن
الباشمهندس لديه حق ؛ فهذا أنسب
لظروف العروس و ادعى لأن يطمئن
على ابنته و يشارك في رعايتها .

نظرت درية إلى زوجها في استنكار ؛
بينما هتف رياض في توتر :
- حسن لن يكون ضعيفاً يا هانم بل أنا من
سيكون ضعيفاً عليه .. الشقة و البناية
كلها ملك لابنتي منذ أسستها .. شركة
المقاولات و كل ما لدي تملكه جنة ؛
و أنا أديره بحكم وصايتي عليها فحسب .

هتف حسن في ضيق :

- أرجوك يا عمي .. لا داعي لهذا الكلام ؛ و ما دمت قد قبلتني زوجاً لابنتك فأنا الآن ابنك و يسعدني أن أقيم معك .. و أرجو أن تحضر جنة لألبسها شبكتها و أن تحدد موعد الزفاف بسرعة .. ما رأيك في الخميس القادم ؟

هتفت درية في حدة :

- و متى سنجهز للحفل و ندعو الناس إليه أم أنك ستتزوج سراً كما لو كانت العروس معيبة أو كما لو كنت تتستر على فضيحة ؟

احتقن وجه حسن بشدة ؛ بينما هتف

كمال في حدة :

- درية .. كفى .. البنت لها ظروف نعلمها جميعاً ؛ و لا داعي للغو و الخلط .

بينما هتف رياض في توتر :

- ابنتي كيفية يا درية هانم و هذا ليس سرّاً .. لا يمكن أن أقيم لها حفلاً تشعر فيه بأن الناس يتفرجون عليها بدلاً من أن يفرحوا لها .

هتف كمال في خجل :

- آسف لما قالته درية يا باشمهندس و لكنك تعلم عقول النساء .. الحفلات و المهرجانات أهم لديهم من أية اعتبارات أخرى ؛ لكننا بالطبع نتفهم ظروف ابنتنا جنة و لا نريد إزعاجها في ليلة كهذه .. عموماً .. الخميس القادم سيكون توقيتاً ممتازاً فعلاً إذا لم يكن لديك مانع .

الفصل التاسع

دخل رياض إلى غرفة جنة فوجدها جالسة منكمشة في فراشها و دموعها تتساب في صمت ؛ تنهد في حرارة قبل أن يغلق الباب خلفه و يقترب منها هامساً :

- سمعتِ ما قالته حماتك ؛ أليس كذلك ؟
.. من الواضح أنها امرأة فظة و لن تكون عشرتها سهلة لكن حسن ابن حلال و أنا واثق من أنه سيحميك من لسانها الذي يقطر سماً و سيبدل كل طاقته في إسعادك .

هتفت جنة في لوعة :

- أتوسل إليك يا أبي لا تفعل هذا بي .. أنا لا أريد أن أتزوج .. لا أريد يا أبي .

جلس رياض على طرف فراشها ؛
و هو يهتف في حزم :

- تكلمنا كثيراً في هذا الموضوع يا جنة و لن نتكلم فيه مرة أخرى .. أنا قرأت الفاتحة مع الرجل و أهله و اتفقت معه على كل التفاصيل .. حسن يحبك و يقدر ظروفك و لا داعي لخوفك هذا .. من حقك أن تعيش حياتك ككل فتاة في سنك يا جنة و الزواج من رجل مثل حسن فرصة لن أسمح لك بأن تضيعها ؛ خاصة أننا لا نخفي شيئاً عنه و هو يعرف أنك لن تخضعي للجراحة ؛ و لن يتحدث أحداً إليك في هذا الموضوع مرة أخرى .

نهضت جنة مع والدها و خرجت إلى الردهة ؛ جلست على الأريكة بجوار حسن و تركت له يدها التي أحس بها حسن باردة كالثلج و هو يلبسها شبكتها ؛ كما كان يرى شحوب وجهها و لمعة الدموع في عيونها التي لا تستطيع أن تراه و لم يكن يفهم لما هي لا تريد

ارتباطها به ؛ رغم أنه واثق من أنها لا
تكرهه أو تنفر منه بل ربما كان العكس
هو الصحيح تماماً .

انسحبت جنة إلى غرفتها بسرعة فشعر
والدها بالحرج من تصرفها و ازداد
حرجه عندما نهض حسن و أهله
و استأذنوا في الرحيل بدون أن يتناولوا
العشاء الذي أعدته وديدة لهم ..

لكنه بمجرد انصرافهم دخل إلى غرفته
و لم يلومها على ما فعلت لأنه لم يكن
يرغب في أن يضغط عليها بأكثر مما
يفعل .

ركب كمال و درية في سيارة حسن
بينما عاد أحمد إلى شقته في سيارته ؛
شعرت سوسن بالدهشة عندما علمت من
زوجها بأن درية قد ذهبت إلى الخطبة ؛
و هتفت في أسى :

- خسارة .. لو أنني أعلم بأن حماتي ستذهب معكم لذهبت أنا أيضاً ؛ على الأقل حتى أرى العروس .. هل هي جميلة فعلاً للحد الذي يجعل حسن يقع في غرامها و يتغاضى عن ظروفها ؛ و يتحدى أمه لأجلها على هذا النحو ؟

هتف أحمد في هدوء :

- بصراحة .. هي فعلاً جميلة جداً و أجمل ما فيها عيونها ،، عندما تنظرين إليها من المستحيل أن تصدقي أنها كفيفة .. لكن الجمال ليس مقياساً في الحب يا زوجتي العزيزة .. اتفقنا من قبل على أن مرآة الحب عمياء ؛ أليس كذلك ؟ .. كما أن والدها رجلاً وقوراً و محترماً و من الواضح أنه شديد الثراء .. عموماً استعدي لحضور عقد القران و الزفاف يوم الخميس القادم ؛ فهذا ما اتفقنا عليه مع والد العروس .

هتفت سوسن في استنكار :
- الخميس القادم ؟ .. و لما العجلة ؟

تنهد أحمد و هتف :
- هذا أفضل .. حسن يريد أن يضع أمي
أمام الأمر الواقع بسرعة و لن يترك لها
وقتاً لإفساد الزيجة و هذا ما يبدو أنها
تصر على فعله .. لا تتخيلي ما قالته
اليوم و جعلتنا جميعاً في منتهى الحرج
؛ و من الواضح أن البنت قد سمعتها ؛
فهي لم تستطع أن تكتم دموعها .

بينما أصرت سوسن على أن يحكي لها
أحمد كل ما حدث بأدق التفاصيل ؛ كان
كمال يعنف زوجته بشدة على ما فعلته
بينما حسن يتأملهما في صمت .

كان من الواضح أن أمه مصرة على
موقفها و لن تتراجع عن تصرفاتها
المحرجة ؛ و أن والده لن يفلح في

السيطرة عليها .. لذا هتف حسن في حزم :

- اسمعي يا أمي .. جنة ستكون زوجتي سواء كان هذا يرضيك أم لا .. أنا لم أعد طفلاً و من حقي اختيار ما أراه مناسباً لحياتي و مستقبلي ؛ و هذه آخر مرة أسمح لك فيها بأن تجرحيها .. لأنك لو حاولت إهانتها مرة أخرى و لو بكلمة واحدة فتأكدي من أنك هكذا ستخسريني ؛ لأنني لن أسمح لأي إنسان بإهانة زوجتي .. حتى لو كان أمي .

احتقن وجه درية بشدة بينما دخل حسن إلى غرفته و صفع الباب خلفه ؛ و هتف كمال في استياء :

- هل أنت سعيدة هكذا ؟ .. أخرجت ابنك و أخرجتينا جميعاً و أهنت الرجل الذي فتح لنا باب بيته ؛ و جرحت البنت التي لا ذنب لها سوى أنك غيورة و استحواذية و لا تتقبلين أن يخرج ابنك

الصغير من عباتك و يستقل بحياته ..
اسمعي يا درية .. سيطري على غيرتك
الغبية هذه و افتحي قلبك لزوجة ابنك
حتى لا تخسريه و تخسريني .

دخل كمال إلى غرفة أحمد القديمة
و قضى ليلته بها ؛ و في الصباح تناول
فطوره مع حسن و هو يهتف :

- لديك الكثير من الترتيبات ؛ و لديّ
الكثير من وقت الفراغ لأساعدك .. أنا
لن أزوج ابني الصغير كل يوم و أريد
أن أساهم في مصروفات الزواج .. على
الأقل اسمح لي بشراء غرفة النوم
الجديدة .

ابتسم حسن و هتف :

- هذا يسعدني يا أبي كما سيسعدني أكثر
لو ذهبت لشراءها بنفسك ؛ لكن لا
تذهب وحدك .. سوسن يمكنها أن
تساعدك في الاختيار فجميعنا يعرف أن

لديها ذوقاً جميلاً و مميّزاً .. كما أنني سأطلب منها اختيار ثوب زفاف مناسب للعروس ؛ فأنا لا أفهم في هذه الأمور و لا أظن أن جنة ستحب شراءه بنفسها فسيكون هذا محرّجاً و ربما مزعجاً لها .

هتفت الأم في حدة :

- و هل سوسن هي الوحيدة التي لديها ذوق يا دكتور ؟ .. أنا أولى منها باختيار أثاث ابني و ترتيبات زواجه .

هتف حسن في فتور :

- آسف .. ظننت أنك سترفضين هذا لو طلبته منك يا أمي ؛ و لكن ما دمت مستعدة لهذا يمكنك الذهاب مع والدي اليوم لشراء الغرفة و توصيلها إلى شقة الباشمهندس ؛ و سأطلب من أحمد و سوسن شراء الثوب و مقابلي هذا المساء قبل أن أذهب إلى جنة ؛ فقد

اتصل بي والدها بالأمس قبل أن أنام ؛
و أصر على أن أتناول العشاء في بيته
الليلة .

أصر رياض على أن تكون جنة
موجودة في استقبال حسن عندما أتى في
المساء و لم تستطع أن تقول له لا ؛ كان
يحمل ثوب الزفاف الذي تحسسته جنة
في ألم ؛ قبل أن تنهمر دموعها و تسرع
إلى غرفتها و هي تتعثر .. هتف رياض
في حرج :

- آسف يا حسن .. هي خجولة قليلاً
و الأمور تجري بسرعة لا تستطيع
استيعابها .

هتف حسن في تردد :

- اصدقني القول يا عمي .. جنة ترفض
الزواج مني لكنك تضغط عليها ؛ أليس
كذلك ؟

شحوب وجه رياض كان يحمل إجابة واضحة جعلت حسن يزفر في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- هل تسمح لي بالتحدث معها ؟ .. أريد أن أحاول إقناعها بي و إلا سأضطر أسفاً للاعتذار و المغادرة ؛ فأنا لن أقبل بأن تفرضني عليها ؛ فهذا ليس عدلاً .. جنة ليست صغيرة ومن حقها اختيار شريك حياتها بمنتهى الحرية ..

هتف رياض في توتر :

- جنة مشوشة و لا تستطيع إتخاذ القرار المناسب ؛ أنا متأكد من أنه لو كانت ظروفها مختلفة لكانت الآن تطير فرحاً بارتباطكما .. هي فقط .. هي لا تصدق أن شاباً مثلك يمكن أن يختارها شريكة لحياته ؛ و تستكثرك على نفسها .

هتف حسن في إصرار :

- دعني أتحدث معها يا عمي .. أرجوك .. و ليس هنا .. سأمر عليها غداً في الكلية إذا لم يكن لديك مانع ؛ و سأعيدها عند المساء .

دخل رياض إلى غرفة جنة التي كانت لا تزال تتحسس الثوب الملقى فوق فراشها و هي تبكي في حرقة .. زفر رياض في حرارة قبل أن يهتف :

- أنا لا أفهمك يا جنة .. أهنتِ الرجل و جرحتِ شعوره و تعذبين نفسك الآن بالبكاء و النحيب .. لماذا تفعلين هذا بنفسك و بالرجل الذي يحبك و يقدرك ؟

همست جنة في لوعة :

- لأنه لا يحبني .. و حتى لو فعل ؛ فإلى متى سيظل يحبني يا أبي ؟ .. أنا كيفية و لا أستطيع أن أراه لكنني أستطيع أن أدرك أنه شاب ممتاز و أن أُلّف فتاة أفضل مني تتمنى الارتباط به .. حسن

يشفق عليّ و الشفقة عمرها قصير و لن
تدوم إلى الأبد .. بعد شهر .. أو بعد عام
.. سيندم على أنه قد اختار الارتباط
بفتاة ستظل عبئاً عليه طوال حياته ؛
و أنا لا أريده أن يندم أو يتألم بسببي فأنا
.. أنا أحبه يا أبي .. أحبه .

تنهد رياض في حرارة قبل أن يلتفت
إلى باب الغرفة الذي تركه مفتوحاً خلفه
؛ كان حسن لا يزال واقفاً قرب الباب
و قد سمع كل حرف نطقت به قبل أن
يدخل إلى الغرفة التي غادرها رياض
و هو لا زال يتنهد في ارتياح ..

- حسن .

هكذا همست جنة عندما شممت رائحة
العطر المميزة التي تسربت إلى عقلها
و جعلتها تنتبه فجأة إلى أن حسن لم
يغادر الشقة بعد كما كانت تعتقد ؛

اقترب حسن منها و مد أنامله ليمسح
 الدموع عن وجهها و هو يهمس :
 - عيون بهذا الجمال من الظلم أن ترهقها
 بالبكاء .. ثم إنها تزداد جاذبية كلما
 ازداد بريقها و هذا ليس عدلاً ؛ فأنت
 تصهرين قلبي بها بلا رحمة .

ارتجفت جنة و همست :
 - عيون لا ترى و وجودها كالعدم و من
 الحماقة أن تدعي الاعجاب بها و أنت
 تعرف أنها لا قيمة لها .. ثم إن كلامك
 يزعجني و لا أحب أن أسمعه .

أزاح حسن ثوب الزفاف جانباً ؛ و جلس
 بجوارها و هو يهمس :
 - لكنك مضطرة لسماعه ؛ فأنتِ خطيبتي
 و من حقي أن أتغزل بكِ كما أشاء ..
 و عيونك تجذبني بشدة خاصةً لأنني
 واثق من أن لها قيمة كبيرة ؛ لكنك
 تهدرينها بإصرارك على رفض

الجراحة .. امنحيني فرصة لأساعدك
يا جنة .. فرصة تعرفين جيداً أن كلانا
يستحقها .

فكرت جنة في أن حسن يحلم بالمستحيل
و يعدها بما لا يستطيع الوفاء به ؛ اختار
لها القدر أن تتعذب عقاباً على ما
اقترفته ؛ و لا يستطيع حسن أن يغير
الأقدار أو أن يقف في وجهها ..

و فكرت في أنه لن يحاول مساعدتها إذا
عرف الحقيقة .. سيكرهها كما تكره
نفسها ؛ و سيحتقرها و يتخلى عنها ؛
و لن يفيدها كثيراً أن تسترد بصرها
لأنها لا تريد أن ترَ الرجل - الذي أحبته
و هي لا تستطيع أن تراه - و هو
يهجرها و يتخلى عنها .

ارتعشت عندما لمس حسن كفها ؛
و هبت واقفة .. شعر حسن بالحيرة

عندما بدت مذعورة و كأنها تخشى أن يؤذيها .. ليست أول مرة ينتابه هذا الشعور بأنها تخشاه .. لا يمكن أن يفهم من تلقاء نفسه بأن وجوده في غرفتها يثير في عقلها ذكريات قديمة و مؤلمة ؛ ذكريات لم تستطع أن تطمسها في قلبها سنوات الظلام و الوحدة الطويلة التي عاشتها .. استندت جنة إلى صوان ملابسها و هي تهمس :

- اخرج يا حسن .. اتركني وحدي أرجوك .

ظل حسن يتأملها للحظات في تردد قبل أن يغادر الغرفة ؛ وجد رياض جالسا في الردهة و هو ينتظره في لهفة .. هتف رياض في توتر :

- ماذا قررت يا حسن ؟ .. هل سيتم الزفاف في موعده أم

لم يستطع رياض إكمال جملته ؛ يعرف أن هذه قد تكون آخر فرصة أمام ابنته لتعيش حياتها كأية فتاة في سنها و لا يتحمل فكرة فوات الفرصة و ضياعها منها ..

صمت حسن للحظات و هو يفكر في عمق ؛ قبل أن يهتف في حزم :

- لا يا عمي .. لن يكون هناك زفاف يوم الخميس .. لأننا سننزوج يوم الأحد القادم .. سأكون هنا في مساء بعد الغد ومعني أهلي و المأذون ؛ و أتمنى أن تستطيع إقناع جنة بأن تقبل بإتمام الزواج فعلاً .. لأنني لا أعلم كيف سيكون موقفي أمام أهلي إذا تراجعت في اللحظة الأخيرة و قالت لا .

الفصل العاشر

جلس رياض مع شقيقه فؤاد في ردهة شقيقته و هو ينظر إلى ساعة يده في قلق ؛ فهتف فؤاد :

- لا زالت السادسة مساءً يا رياض و لا أظن أن العريس أو المأذون قد يكونون هنا قبل ساعة على الأقل .

هتف رياض في توتر :

- أشعر بالقلق يا فؤاد .. البنت حالتها النفسية سيئة جداً منذ أول أمس ؛ هي لا تأكل و لا تنام و لا تكف عن البكاء .. لا أدري لما تعذب نفسها على هذا النحو .. لو أن رأسها يلين قليلاً و تقبل بالجراحة لأجلت الزفاف حتى تشفى لكنها عنيدة .. أخشى أن تخرجني أمام الناس و ترفض توكيلي لمباشرة العقد .. هي ليست قاصراً و لا أستطيع إجبارها على الزواج بدون رضاها .

هتف فؤاد في ضيق :

- ما كان عليك أن تتعجلها على هذا النحو .. كان يجب أن تمنحها بعض الوقت لتتوطد علاقتها بهذا الشاب و تصبح مستعدة لتقبل فكرة الزواج .. كما أنك قد تسرعت عندما قبلت الخطبة دون أن تصارحه بكل شيء .. كيف سيكون موقفك أمامه لو علم الحقيقة ذات يوم ؟ ؛ و سيعلمها حتماً فالفضائح رائحتها تفوح مهما طال الزمن .

ترقرقت الدموع في عيون رياض و هو

يهتف :

- المشكلة ليست في موقفي يا فؤاد .. المشكلة في موقفها هي .. لا أستطيع أن أراها و هي تدفع ثمن خطيئة لا ذنب لها فيها ؛ و خشيت إن صارحت حسن بالحقيقة أن يتخل عنها و يتركها .. جنة تحبه يا فؤاد .. ابنتي تحبه .. صحيح أنها لا ترغب في الارتباط به لكن هذا

لأنها تحبه و تشفق عليه من أن يتحمل معها ظلام حياتها .. لكن أن يتخل عنها .. هذا ما لن تستطع أن تتحمله خاصة إذا عرفت بالسبب في هذا .

خرجت وديدة من غرفة جنة ؛ و هي تهتف في استياء :

- افعل شيئاً يا باشمهندس .. الأنسة جنة لا تتوقف عن البكاء و كلما وضعت لها الماشطة مساحيق التجميل أفسدتها .. لا تتوقع أن تكون جاهزة للزفاف إذا ظلت على هذا الحال .

زفر رياض في حرارة ؛ بينما هتف فؤاد :

- قم إلى ابنتك و تحدث معها و أنا سأستقبل العريس و أهله .. حاول أن تحتويها و تسيطر عليها فنحن في غنى عن الفضائح في يوم كهذا .

دخل رياض إلى غرفة جنة ؛ كانت قد ارتدت ثوب زفافها لكن وجهها كان ملطخاً بمساحيق التجميل ودموعها التي لا تتوقف ؛ أشار إلى مصففة الشعر بمغادرة الغرفة قبل أن يجلس بجوار ابنته و هو يهتف :

- إذا كان يرضيك إخراجي أمام الناس فسأعذر لهم و أفسخ الخطبة .. لكن حسن سيكون موقفه محرراً أمام أهله و سيجرحه تصرفك هذا لدرجة لا يمكنك تخيلها .. هل ستقبلين بإهانة والدك و حسن أمام حمائك التي تعرفين أنها قد تلفعت بلسانها و لن ترحمنا ؟ .. أنا يا ابنتي لا أريد سوى صالحك ؛ و حسن هو الرجل الذي أستطيع أن أتمنه عليك و أموت و أنا مرتاح البال لأنني لم أتركك وحدك .. أرجوك يا جنة .. أتوسل إليك .. لا تفعلي هذا بنا و لا بنفسك .

لم تنطق جنة بحرفٍ واحد لكن دموعها توقفت عن الانهمار ؛ بصعوبة استطاعت مساحيق التجميل أن تخفي شيئاً من شحوب وجهها ؛ و عندما دخل أحمد و فؤاد إلى غرفتها ليسألاها عن وكيلها ؛ ظلت صامتة للحظات كاد فيها قلب فؤاد أن يتوقف قبل أن تهمس :
- أبي .

كان رياض يشعر بالارتياح و هو يضع يده في يد كمال و هما يرددان عهود الزواج ؛ بينما كان حسن يشعر بالقليل من القلق ربما لأن جنة ظلت في غرفتها و لم تشهد مراسم العقد التي انتهت بسرعة ؛ فهتفت سوسن :
- أين العروس ؟ .. نريد أن نتعرف عليها و نقول لها مبروك .

هتف رياض في ابتهاج :

- هيا يا حسن .. أحضر عروسك من
غرفة النوم .. أعددت احتفالاً صغيراً
في مطعم قريب من هنا و لا نريد أن
نتأخر .

كانت وديدة و سوسن تطلقان الزغاريد
عندما نهض حسن و دخل إلى غرفة
جنة و هو مبتسم في سعادة .. قبل أن
تسقط الابتسامة عن وجهه و يملأ قلبه
الذعر ؛ و هو يرى جنة التي ارتمت في
فراشها و الدماء تنهمر من شرايين
معصمها الممزقة ..

أسرع حسن يحمل جنة إلى المستشفى
و هو يعرف أنها قد تفقد حياتها في أية
لحظة فقد كانت تنزف بشدة ؛ دخل
حسن مع الجراح إلى غرفة العمليات
بينما ظل رياض يقف أمام الغرفة و هو
يبكي في حرقة و فؤاد يربت على كتفه

و يحاول مواساته بكلمات جوفاء لم يكن رياض يسمعها أو يعيها و قلبه ينتفض في لوعة ؛ و هو يخشى في كل لحظة أن يفقد ابنته الوحيدة حتى غادر حسن غرفة العمليات و هو شاحب الوجه ..

هتف رياض في لوعة :

- مانت يا حسن .. بنتي ماتت .

هتف حسن بسرعة :

- لا يا عمي و الحمد لله .. لا زالت على قيد الحياة و سترها عندما تستعيد وعيها .. لكنها نذفت كثيراً و ستظل في غرفة العناية المركزة حتى الصباح .

بكي رياض في حرقه فضمه فؤاد و هو يهتف :

- لنحمد الله يا رياض .. لنحمد الله .. كان من الممكن أن نفقدها لكن الله كريم

و ستمر الأزيمة على خير - إن شاء
الله -

اقترب كمال من حسن ؛ و هو يهتف في
توتر :

- لا أريد أن أتركك وحدك و لكن .. أمك
في البيت و هي تشتاط غضباً و يجب
أن أعود إليها ..

هتف أحمد بسرعة :

- لا تقلق يا أبي .. أنا سأظل هنا معه
و سأظل على اتصال بك .. اطمئن .

أصر حسن على أن ينصرف والده
و شقيقه قبل أن يأخذ حماه و فؤاد إلى
مكتبه و يطلب لهما القهوة .. ثم عاد إلى
جدة ..

وقف يتأملها و هي لا تزال فاقدة الوعي
حتى استعادت وعيها مع ساعات

الصباح الأولى ؛ قبل أن يخرجها من
غرفة العناية المركزة إلى غرفة عادية
و يسمح لوالدها و عمها بالدخول إليها
لرؤيتها ..

ظلت صامته و لم تقل شيئاً حتى عندما
هزها والدها ؛ و هو يهتف في لوعة :
- لماذا فعلتِ هذا بنفسك و بي ؟ .. هنت
عليك يا جنة .. هان عليك أبوك الذي
تعرفين أنه يعيش فقط بك و لأجلك ..
و هل هانت عليكِ نفسك ؟ .. أهانت
عليكِ حياتك لهذا الحد ؟ .. لما ؟ ..
قولي لي .. لما فعلتِ هذا بنفسك و بي ؟
.. انطقي يا جنة .

هتف حسن في توتر :
- كفى يا عمي .. لا تفعل هذا بنفسك و بها
.. أعصابك مرهقة و يجب أن ترتاح .

هتف رياض في لوعة :

- من أين ستأتي الراحة ؟ .. يجب أن أفهم .. لما فعلتِ هذا بنفسك يا جنة ؟ .. انطقي .

عندما لطم ابنته على وجهها انفجرت باكية ؛ بينما أبعدته حسن عنها و هو يهتف في حزم :

- قلت كفى يا عمي .. ليس هذا هو الوقت المناسب لهذا الحديث و لا مكانه .. كفانا فضائح لهذا الحد .. عمي فؤاد لو سمحت .. أعده إلى البيت ؛ فكلاهما يجب أن يرتاح .

بصعوبة استطاع فؤاد أن يأخذ رياض و يغادر المستشفى بينما جلس حسن على مقعد وضعه بجوار فراش جنة التي ظلت تبكي في صمت .

ظل يتأملها للحظات قبل أن ينهض
فجأة و هو يهتف في حزم :
- سامر بتجهيز غرفة العمليات حالاً .

انتفضت جنة ؛ و هتفت في زعر :
- لا .. لا أريد الجراحة .

هتف حسن في حدة :
- لم يسألك أحد عن رأيك .

عندما غادر حسن غرفة جنة بالمستشفى
كان رياض يدخل إلى شقته مع شقيقه
و هو يترنح ؛ جلس على أقرب مقعد
إليه و هو يهتف في حرقه :

- قطعت شرايين كلا معصميه يا فؤاد ..
كليهما .. لهذا الحد كانت ابنتي تتعذب
و أنا غافل عما هي فيه .. لهذا الحد
كانت ترغب في التخلص من حياتها ..
و أين كنت أنا ؟ .. هل كنت أعمى ؟ ..
و لماذا صمتت كل هذا الوقت ؟ .. لماذا

لم تقل شيئاً؟ .. لماذا لم تخبرني؟ .. أنا
أبوها .. سترها و غطاها .. لماذا لم
تصارحني؟

هتف فؤاد في توتر :

- كفى يا رياض .. كفى .. لا تعذب نفسك
على هذا النحو .. و لنحمد الله على أنها
قد نجت .

هتف رياض و كأنه لم يسمعه :

- و متى حدث هذا؟ .. و كيف؟ .. أنا لم
أغفل عنها و لا للحظة واحدة .. عشر
سنوات و هي في يدي و في حضني
و لم أتركها و لا للحظة واحدة .. هل
يمكن ... لا .. قبل هذا كانت مجرد
طفلة و من المستحيل ...

ربت فؤاد على كتف رياض و هو
يهتف :

- اهدأ .. اهدأ أرجوك .. و دعنا نفكر فيما
سنفعل الآن .. تركنا الرجل الذي عقد
قرانها لتوه و هو يغلي غضباً .. لديه
حق .. ما فعلته ابنتك فضحه و فضحنا
أمام الجميع .. حملها إلى المستشفى التي
يعمل بها و هي بثوب الزفاف و غارقة
في دمها ؛ و الشيء الوحيد الذي سيحفظ
له ماء وجهه أمام أهله و زملاءه الآن
هو أن يطلقها .. ماذا سنفعل حينئذٍ ؟ ..
ابنتك فتحت باباً للشر لن يمكن غلقه
بسهولة ؛ و ستعيد علينا ما ظننا أننا قد
دفناه في الماضي و ارتحنا منه إلى
الأبد .

الفصل الحادي عشر

عاد حسن إلى بيت والده فوجد أمه في انتظاره ؛ لم يكن مستعداً للحديث معها و لا مع أي شخص لذا دخل إلى غرفته ؛ أرادت أن تتبعه فهتف بها كمال :

- اتركيه ليرتاح .. ظل في المستشفى منذ الأمس مع زوجته و يجب أن ينام و لو قليلاً لتهدأ أعصابه و يصفو ذهنه .

هتفت درية في حدة :

- زوجته ؟ .. ألا زالت زوجته ؟ .. ماذا ينتظر ابنك حتى يطلقها و يخلصنا من فضيحتها و عارها ؟

هتف كمال في توتر :

- حرام عليك .. متى تزوج ليطلق ؟ .. اتقي الله يا درية و ارحمي ابنك و كفاك ضغطاً على أعصابه .

لم تكن درية مستعدة لسماع نصيحة زوجها ؛ و كان آخر شيء من الممكن أن تفعله الآن هو أن تترك ابنها في غرفته دون أن تسمعه كل ما ترغب في أن تقوله ؛ لذا دخلت إلى الغرفة ..

كان حسن مستلقياً في فراشه و هو يدخلن سيجاراً في شرود .. فهتفت درية :

- كنت واثقة من أنك لم تنم بعد .. انهض يا حسن و افعل ما يجب أن يفعله أي رجل في مكانك .. خلصنا من هذه المصيبة قبل أن تصبح سيرتنا على كل لسان .. ما الذي تنتظره ؟

تبعها كمال إلى الغرفة ؛ و هتف في حدة :

- قلت كفى يا درية .. ما الذي تريدينه من ابنك ؟ .. الفتاة التي تخوضين في عرضها زوجة ابنك وما يمسه يمسه

و ليس من حقا الافتراء عليها بالظن
و الشبهة .. لم يحدث شيء لكل

قاطعته درية هاتفة في حدة :

- و ما الذي تريده أن يحدث بأكثر مما
حدث ؟ .. الهانم التي عرفها ابنك من
الشارع و تزوجها في يوم و ليلة قتلت
نفسها في ليلة عرسه ؛ هل لهذا معنى
آخر سوى أنها ...

هب حسن من فراشه ؛ و هتف في
حدة :

- كفى يا أمي .. لن أسمح لك ولا بكلمة
أخرى .. حرام عليك .. أنا لم أتزوج
فتاة من الشارع ؛ جنة بنت ناس و أبوها
رجل محترم ؛ و كل ظنونك بها كذب
و بهتان .. جنة أشرف من ظنونك كلها
و ليس من حقا أن تتهميها بلا دليل .

هتفت درية في ثورة :

- و بنت الناس الشريفة لما تتخلص من حياتها في ليلة عرسها يا دكتور ؟ .. قل لي سبباً واحداً يجعلها ...

قاطعها حسن هاتفاً في حدة :

- لأنها غبية .. لا تستطيع أن تحب نفسها و لا تصدق أن أحداً يمكن أن يحبها رغم ظروفها .. لأنني أنا و والدها ضغطنا عليها و لم نعطيها فرصة لاستيعاب الموقف و مواجهة مخاوفها .. لأي سبب مهما كان غيباً أو سخيلاً يا أمي إلا السبب الذي برأسك .. جنة طاهرة و شريفة و ليس من حقك أن تشككي في هذا و لا بكلمة واحدة .. اصمتي يا أمي .. اصمتي أرجوك .

هتف كمال في توتر :

- اهدأ يا حسن .. أمك لم تكن تقصد أن تجرحك أو أن تسيئ إلى زوجتك ؛ هي فقط مشوشة قليلاً بعد ما حدث .. كلنا

مشوشون وأعصابنا تالفة و يجب أن
نهدأ قليلاً حتى لا يفلت زمام الأمور من
يدنا .

هتفت درية في حدة :

- لي لسان ولا أحتاج أحداً ليشرح موقفى
أو يبرر أفعالى يا كمال .. ابنك يجب أن
يترك تلك العمياء قبل أن ...

قاطعها حسن هاتفاً في حدة :

- لم تعد عمياء .

نظر إليه كمال و درية في حيرة ؛ فهتفت
في هدوء :

- جنة لم تعد كفيفة ؛ أجريت لها جراحة
ناجحة و استعادت نظرها .. بضعة أيام
و ستغادر المستشفى و هي ترى كل ما
حولها بكفاءة .. عليك من الآن أن تجدى
سبباً آخر يبرر كرهك لها يا أمى سوى
أنها كفيفة .. لأنها لم تعد كفيفة ..

و عموماً اطمئني .. أنا فعلاً سأطلقها ..
 إذا قالت أن والدها قد فرضني عليها
 بسبب ظروفها و أنها قد تزوجتني
 مغصوبة فسأتركها فوراً .. هل ارتحت
 الآن ؟ .. اتركيني لأنام يا أمي ؛ أم أن
 عليّ أن أجد لي مكاناً آخر لأنام فيه ؟

استعادت جنة و عيها ببطء ؛ مدت يدها
 لتتحسس الضمادات التي تحيط بعينيها
 لكن والدها أسرع يمسك كفها و هو
 يهتف :

- انتبهي يا جنة .. قال حسن أنه يجب أن
 ينزعها بنفسه في الوقت المناسب .

همست في تردد :

- أبي .. أين حسن ؟

ربت رياض على يدها ؛ و هو يهمس :
 - انصرف بعد أن أجرى لك الجراحة
 و اطمأن عليك .. عاد إلى البيت ليرتاح
 و يحظ ببعض النوم .

صمتت جنة للحظة ؛ قبل أن تهمس :
 - أي بيت ؟ .. شقتك أم شقة أبيه ؟

زفر رياض في حرارة ؛ قبل أن يهتف :
 - ليس إلى شقتنا للأسف يا جنة .. بعد ما
 حدث لا يستطيع أحد أن يلومه على أي
 شيء من الممكن أن يفعله .. لماذا
 يا جنة ؟ .. لماذا فعلتِ هذا بنفسك
 و بنا ؟ .. أنا أبوكِ وليس لكِ من هو
 أقرب مني ؛ افتحي لي قلبك
 و صارحيني يا ابنتي .

لا تعرف كيف تصارحه بأنه آخر
 شخص من الممكن أن تفتح قلبها أمامه
 و تبوح له بأسرار الماضي الدفينة ؛

تحملت كل هذا العذاب لأنها لا تتحمل
أن تذبحه بسكين الحقيقة المؤلمة ..

الماضي بآلامه و خزيه سيظل هو
السجن الذي تعيش فيه بمفردها في
زنزانة معتمة ؛ حتى لو استطاع حسن
أن ينتشلها من ظلام العمى كما يتمنى .

فكرت في حسن .. هل يمكن أن
تصارحه بالحقيقة ؟ .. هل تستطيع أن
تفعل ؟ .. لا .. كانت مستعدة لمواجهة
الموت لأنها لم تكن مستعدة لمواجهة ؛
إذا عرف حقيقة ما اقترفته يداها
سيكرهها و يحتقرها و سيطردها من
حياته .. لا .. لا تريد أن تتجح الجراحة
كما يدعي حسن .. لا تريد أن ترَ الحياة
التي لا تقدم لها سوى الألم و الندم
و العذاب .. لا تريد أن ترَ في عينيه
احتقاره لها و لا أن ترَ حبيبها و هو
يتخلى عنها و ينبذها .

لكن حسن كان واثقاً من نجاح جراحته ؛
 ففي كل يوم كان يأتي إلى غرفتها
 لخمس دقائق فحسب ؛ و في كل مرة
 كانت سعاد تأتي معه ؛ تقيس لها النبض
 و الضغط و لا تغادر الغرفة إلا عندما
 يغادرها حسن ..

حسن الذي ظل صوته بارداً و هو
 يعامل جنة بتجاهل كما لو كانت مجرد
 مريضة لديه ؛ لا يعبأ كثيراً بشعورها
 نحوه و نحو ما تمر به .

في ذلك الصباح كانت تجلس في فراشها
 منكمشة ؛ تعرف أن عليها الآن أن
 تواجه حسن و والدها و الدنيا التي لم
 ترها منذ أكثر من عشر سنوات ؛ عندما
 دخل حسن إلى الغرفة ؛ و سعاد معه
 كالعادة .

نهض والدها و عرض أن يغادر الغرفة

؛ لكن حسن هتف في هدوء :

- لا داعي .. سننزح عنها الضمادات الآن
و أريدك أن تكون أول شخص تراه ..
هل أنتِ مستعدة ؟

مستعدة ؟ .. لماذا ؟ .. لأن ترَ الحياة من
جديد أم لتواجه واقع أنها ستنزل أسيرة
في هذا الظلام المخيف لآخر عمرها ؟
.. البرودة في صوت حسن و تجاهله
لها جعلها ترتجف و هي تشعر به ينزع
الضمادات عن عينيها ببطء قبل أن
يمسح على جفونها بقطعة من القطن ؛
قبل أن يهمس :

- الآن يا جنة سنعرف النتيجة القاطعة
للجراحة .. افتحي عينيك .

انهمرت الدموع من بين أهدابها المسبلة
؛ و ظلت ترتجف كريشة في مهب
الريح ؛ بدت ضعيفة و تعيسة و خائفة

لدرجة ارتعش لها قلب حسن و أذابت
جليد الغضب من حول عواطفه .

أشار إلى سعاد بمغادرة الغرفة و ما إن
فعلت حتى جلس على طرف فراش جنة
و ضمها إلى صدره و هو يهمس :
- لا تخشي شيئاً .. أنتِ لست في هذا
وحدك يا جنة .. أنا و والدك هنا و لن
نتخلّ عنكٍ مهما كانت النتيجة .. افتحي
عينيك يا حبيبتي .. أرجوك .

أحاطت خصره بذراعيها و تشبثت به
بقوة ؛ لا تعرف كيف تصارحه بأنها لا
تريد أن يلفظها من حياته و لا تحتمل أن
يبتعد عنها ؛ و لا يهمها أن ترَ من الدنيا
سوى الرجل الذي ملك عواطفها بدون
أن تراه ؛ لأنه عالمها كله و لا تستطيع
أن تعيش بدونه .

فتحت عيونها ببطء و ابتسمت و هي
ترى والدها الذي ينظر إليها في ترقب
و لهفة ؛ قبل أن تهمس :

- وحشتني كثيراً يا أبي .. منذ متى
أصبحت تصبغ شعرك باللون الأبيض ؟

تهلل وجه والدها فرحاً قبل أن يخر
ساجداً في الأرض شاكراً لله على تحقق
الأمل الذي انتظره لعشر سنوات كاملة ؛
بينما همس حسن :

- مبروك يا جنة .. مبروك يا حبيبتي .

رفعت رأسها عن صدره و نظرت إليه
؛ في عيونها الدافئة نظرة حنان دامعة
احتضنتها و جعلتها تشعر بالأمان ربما
لأول مرة في حياتها منذ سنين .. قبل أن
تنهمر الدموع على وجهها كالسيل .

الفصل الثاني عشر

ذهب رياض إلى خزينة المستشفى ليسدد حساب غرفة ابنته عندما أخبره الموظف المختص بأن الحساب قد تمت تسويته بمعرفة حسن فعاد إلى غرفة ابنته و هو شارد الذهن ؛ لا يعرف ما الذي ستؤول إليه الأمور الآن خاصةً و أن حسن قد سمح بخروج جنة من المستشفى اليوم .

كانت جنة تنظر إلى المرأة التي أحضرتها لها سعاد ؛ و هي تهتف في تردد :

- هل أبدو جميلة يا سعاد أم أنني كان يجب أن أضع قليلاً من مساحيق التجميل لأخفي هذا الشحوب ؟ ..
أحضر لي أبي هذا الثوب من البيت ؛ لكنني خجلت من أن أطلب منه أن يشتري لي أحمر شفاه .. أتظنين أن حسن سينفر من شحوبي هذا ؟

هتفت سعاد في صدق :

- أي شحوب هذا يا أنسة جنة ؟ .. أنتِ ما شاء الله كالقمر في ليلة تمامه .. ليتني أنا كنت في نصف جمالك .. أنا واثقة من أن د / حسن يعلم بأنه محظوظ بأن يحظ بعروس بجمالك لكنه و الشهادة لله ابن حلال و يستحق كل خير .

دخل رياض إلى الغرفة فأسرعت جنة تعيد المرأة إلى سعاد التي غادرت الغرفة بسرعة ؛ تأمل رياض ابنته في حزن ؛ يرى كم هي سعيدة بالحياة التي استعادت قدرتها على رؤيتها من جديد بعد أن حبسها اليأس في الظلام لسنوات طويلة ؛ و لا يعلم كيف ستواجه ما ينتظرها الآن و قد أصبح لزاماً عليها مواجهة زوجها بما تخفيه ؛ و الله وحده يعلم بما هو و كيف ستكون ردة فعل حسن بعد أن يعرفه .

هتف رياض في أسي :

- حسن سدد حساب المستشفى بالكامل ..
لا أعرف كيف أشكره على ما فعله لك ؛
و لا أعرف كيف أعتذر له عن الإهانة
التي تحملها بسببنا .. ماذا سنفعل الآن
يا جنة ؟ .. أنتِ ترفضين مصارحتي
بالحقيقة ؛ لكنك يجب أن تكوني مستعدة
لمصارحته هو .. حسن زوجك ؛ و من
حقه أن يعلم بما جعلك تتصرفين بتلك
الحماسة .

لمعت الدموع في عيونها و هي تهمس :

- أبي أنا أسفة .. أنا لم أفكر ..

هتف رياض في استياء :

- أعرف يا جنة .. أعرف يا ابنتي ..
أعرف أنكِ لم تفكري في أن ما فعلتِ
في لحظة يأس سيفضح والدك و الرجل
الذي استأمنك على اسمه و سمعته ؛
لكنك الآن يجب أن تفكري جيداً و أن

تعرفي ماذا ستقولين له لتبرري حماقتك ؛ لأن هذا حقه .

جلست جنة على طرف فراشها و أخفت وجهها في كفيها و انفجرت باكياً ؛ نظر إليها والدها في أسي ؛ لم يكن يجد كلاماً يمكن أن يخفف به عنها ما تشعر به و لم يكن يملك ما يفعله لأجلها ؛ هذه المحنة يجب أن تخوضها وحدها و مواجهتها مع حسن أمر لا مفر منه و لا يستطيع أن يجنبها إياه .

دخل حسن إلى الغرفة ؛ ألقى نظرة على زوجته التي انخرطت في البكاء قبل أن يلتفت إلى رياض هاتفاً في هدوء :

- هل تسمح بأن نقض باقي اليوم أنا و جنة خارج البيت ؟ .. هي تحتاج لبعض الهواء المنعش لتهدأ أعصابها .

أدرك رياض أن حسن يرغب في الحديث مع جنة بعيداً عن البيت و رحب بأن يمنحه هذه الفرصة ؛ انسحب سريعاً من الغرفة بينما ناول حسن زوجته منديلاً و هو يهتف :

- ما رأيك في نزهة بحرية ؟ .. الشتاء بدأ في الرحيل و نزهة اليخوت في هذا الوقت تكون ممتعة .

عندما رأى حسن في عينيها نظرة خوف و هي تنظر إلى اليخت مد يده لها و أحاطها بذراعه قبل أن يركبا اليخت الذي استأجره معاً ..

جلست جنة تتأمل البحر الواسع و هي تشعر بالحرارة التي تسري في عروقها و حسن لا زال يحيطها بذراعه ؛ قبل أن تهمس :

- تخيلت البحر كثيراً من قبل لكن هذه هي أول مرة أراه فيها .. يبدو ساحراً فعلاً .

هتف حسن في حيرة :

- أول مرة ؟ .. عجباً .. كنتِ في الثالثة عشر عندما فقدتِ نظركِ يا جنة ؛ فلما لم تكوني قد رأيتيه ؟ .

ترددت لحظة ؛ قبل أن تهمس :

- لأننا لم نكن نقيم في الاسكندرية ؛ انتقلنا إليها بعد الحادث .. كنا نعيش في المعادي .

هتف حسن مبتسماً :

- نحن أيضاً انتقلنا إليها منذ عشر سنوات تقريباً .. قبل هذا كان والدي قاضياً في محكمة النقض و كنا نقيم في مصر الجديدة .. مصادفة غريبة ؛ أليس كذلك ؟ .. لكن الاسكندرية بلد جميلة و قد طابت لنا الإقامة فيها .. و الآن .. بما أنكِ لم تريها فعلياً من قبل ؟ .. فدعيني آخذكِ إلى أجمل الأماكن التي يمكنكِ رؤيتها فيها .

مرت بضع ساعات في ثوانٍ معدودة ؛
 وجنة تشعر بسعادة لم تعرف لها طعماً
 من قبل ؛ و حسن معها تشعر بأن الدنيا
 بأسرها تبتسم في وجهها و لا تريد أن
 يشرد عقلها و لا للحظة واحدة في
 ذكريات الماضي بأسرارها الدفينة
 و ألمها الذي لا ينضب ..

كان حسن رقيقاً معها و هو يأخذها من
 مكانٍ لآخر و كأنهما خطيبان يعيشان
 أجمل أيام سعادتهما ؛ قبل أن تقترب
 الساعة من منتصف الليل ؛ و يضطران
 للعودة إلى بيت والدها .

عندما أوقف حسن سيارته أسفل البناية
 التي تقيم بها مع والدها التفت نحوها
 و هو يهمس :

- مرّ الوقت سريعاً يا جنة و لم نتحدث
 فيما كان يجب أن نقوله منذ البداية .. ألم

يئن الوقت بعد لتفتحي قلبك لي
و تصارحيني بما يعذبك يا حبيبي ؟

لمعت الدموع في عيونها و بدا و كأنها
ستنطق بما تخفيه لكنها لم تستطع ؛
ماتت الكلمات على شفثتها و أشاحت
بوجهها عنه و دموعها تنساب ؛ زفر
حسن في حرارة قبل أن يمسك كفها
و يضغط أناملها في يده و هو يهمس :

- جنة .. ثقي في أنني لا ألومك و لن
ألومك على أي شيء قد حدث في
الماضي .. ما فات مات و أظن أنني
أستطيع أن أتغاض عنه و أنساه .. هذا
إذا كنتِ أنتِ مستعدة لأن تنسيه و تبدئي
معي صفحة جديدة .

همست جنة في لوعة :

- يجب أن تعرف أولاً ما أخفيه قبل أن
تقرر ما إذا كنت قادراً على أن تنساه

و تغفره لي أم لا يا حسن ؛ و أنا
أنا ...

أرادت أن تصارحه بكل شيء ؛ أرادت
أن تتخفف من العبء الذي ينوء به قلبها
منذ سنين ؛ أرادت أن تحكي و أن تبوح
؛ و أن تعري أمامه كل خطاياها و أن
تتوح بكل ما يوجعها .. أرادت فعلاً أن
تفعل ؛ لكنها لم تستطع .. كان هذا فوق
طاقتها و لم تقدر على مواجهته .

أسرعت جنة تغادر السيارة و تندفع نحو
البناية و تختفي بها و هي تبكي في
لوعة ؛ بينما حسن يتابعها ببصره و قلبه
يبكي من أجلها ؛ لا يعرف لما لا يشعر
بالغضب منها رغم أنها قد خدعته
و أهانتة و أخرجته و جعلته في وضع
لا يحسد عليه أمام أهله و زملاءه
و أمام نفسه قبل الآخرين ..

لا يستطيع أن يقسُ عليها و هو يعلم
بأنها تتعذب ؛ و لا يستطيع أن يحاسبها
و هو يعرف بأنها قد حاسبت نفسها
بقسوة لم يكن أحد سيفرضها عليها ؛
و أنها كانت مستعدة لمعاقبة نفسها
بالموت لو استطاعت .

عندما دخلت جنة إلى شقة والدها
و الدموع تغرق وجهها ؛ كان رياض
ينتظرها في الردهة ؛ ارتمت بين
ذراعيه و هي تهتف في لوعة :

- لم أستطع يا أبي .. لم أستطع أن أبوح
له بما يجب أن أعترف به أمامه ..
حسن سيحتقرني و سيكرهني كما أكره
نفسي .. و سيتركني .. حسن
سيتركني .

ضمها والدها إلى صدره و سألت
دموعه ؛ و هو يهمس :

- سنة الحياة يا جنة .. ليست هناك جريمة بدون عقاب مهما طال الزمن ؛ و ما فعلناه يا ابنتي نحاسب عليه .. و يجب أن نصبر و نتحمل نتيجة ما اقترفته أيدينا ؛ لأن الندم وحده لا يكفي .

دخلت جنة إلى غرفتها ؛ ارتمت على الأرض بجوار فراشها و دفنت وجهها بين ذراعيها فوق الفراش و هي تبكي في حرقة .

الماضي قيّد في رقبتها لن يمكنها الهروب منه ؛ هي لا تقوى على مواجهته ولا تملك تغييره و لا تستطيع أن تلقيه خلف ظهرها و تنساه كما يريد حسن .. عذابها يضيئها منذ سنين و لا ترى لعذابها نهاية .

دخل حسن إلى غرفة زوجته و تنهد في حرارة عندما رآها على هذا الحال ؛

اقترب منها ووضع يده على كتفها
فرفعت رأسها لتتنظر إليه بعيونها
الغارقة في الدموع ..

قبل أن يجذبها حسن لتنهض و يضمها
إلى صدره .

الفصل الثالث عشر

دخل حسن إلى دورة المياه الملحقة بغرفة النوم و اغتسل و ارتدى منامته قبل أن يعود إلى الغرفة ؛ وقف للحظة يتأمل زوجته التي غرقت في نوم عميق قبل أن يشرع في صلاة الفجر و هو يحاول أن يتجاهل دوامة الأفكار التي تعصف برأسه بلا رحمة .

أنهى صلاته واندس في الفراش بجوار زوجته التي سألت على وجهها دمعة جعلته يشعر بالحيرة ؛ خاصةً عندما لاحظ العرق الذي تصبب على وجهها ؛ وجسدها الذي كان يرتجف وهي تهمس :

- سامحيني .. أرجوك .. سامحيني .

انتفض جسدها بشدة وهبت جالسة و هي تصرخ في ذعر فضمها حسن إلى صدره و هو يهتف :

- بسم الله الرحمن الرحيم .. اهدئي يا جنة .. اهدئي .. هذا مجرد كابوس .

انفجرت باكية و هي تخفي وجهها في صدره حتى أنها لم تنتبه عندما اجتذب صوت صراخها والدها من فراشه وجعله يفتح غرفتها كما اعتاد أن يفعل في كل ليلة كلما داهمتها الكوابيس .. لكنه هذه المرة وقف مرتبكاً عندما فاجأه وجود حسن قبل أن يغادر الغرفة بسرعة و يغلق الباب خلفه .

تنهد حسن في حرارة و استلقى في فراشه و هو لا يزال يضم جسدها المرتجف إلى صدره حتى هدأ ارتجافها و غلبها النوم من جديد بينما دخل رياض إلى المطبخ ؛ غلى بعض الماء و صنع لنفسه كوباً من الشاي و جلس يرشفه في شرود ؛ قبل أن يدخل حسن

إلى المطبخ و هو يلقي تحية الصباح
عليه .

بدا حسن مرتبكاً و هو يهتف :
- آسف لأنني دخلت البيت بدون استئذان
يا عمي .. كان الوقت متأخراً و ...

قاطعته رياض هاتفاً :
- لا أحد يستأذن ليدخل بيته أو مخدع
زوجته في أية ساعة من ليلٍ أو نهار
يا حسن ؛ بل أنا الآسف .. أفرعني
صراخها و نسيت أنها قد أصبحت
زوجة و لم يعد من حقي أن أقتحم
غرفتها كلما داهمتها الكوابيس .

هتف حسن في قلق :
- و هل تداهمها الكوابيس باستمرار ؟
زفر رياض في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- في كل ليلة تقريباً منذ الحادث .. و ربما من قبل هذا لكنني لست متأكداً ؛ فهي لم تكن تعيش معي قبل هذا الوقت .

هتف حسن في فضول :

- لما لم تكن تعيش معك ؟... هل كنت منفصلاً عن أمها – رحمها الله - ؟

لم يكن رياض يرغب في الخوض في الحديث عن الماضي لكنه لم يجد أمامه مفرأ من هذا ؛ فهتف في أسى :

- لا .. لكنني كنت أعمل في الكويت لأكثر من خمسة عشر عاماً .. الإقامة هناك لم تناسب دلال وعادت إلى القاهرة بينما هي لم تكن قد وضعت جنة بعد .. كنت أزورهما لبضعة أيام كل بضعة أعوام .. المرتب الكبير و المكسب السهل أغرياني بالغرابة و جعلاني أتخلى عن ابنتي حتى

أصبحت في الثالثة عشر من عمرها
و حدث ما حدث .

لمعت الدموع في عيني رياض فهتف
حسن :

- عمي .. جنة بخير .. لا شيء مما جال
في ذهنك قد حدث .. أنا أول رجل في
حياة ابنتك .. ثق في هذا .

شعر رياض بأن حملاً ثقيلاً قد انزاح
عن كاهله ؛ حتى أن دموع الارتياح قد
انهمرت من عينيه ؛ قبل أن يسيطر على
عواطفه و تعاوده الحيرة و هو يهمس :
- لكن .. لما ؟ ..

سكب حسن لنفسه كوباً من الشاي و هو
يهتف :
- لما حاولت الانتحار في ليلة عرسنا ؛
و جعلت سيرتنا على كل لسان ؟ .. لا
أدري .. حقاً لا أدري .. ينتابني شعور

بأنها تحمل سراً في قلبها يعذبها و لا
تستطيع أن تبوح به ؛ لكنني لا أدري
ماذا من الممكن أن يكون ..

امتقع وجه رياض بشدة ؛ فهتف حسن :
- ما بك يا عمي ؟ .. هل هناك سر في
حياة جنة فعلاً ؟ .. تكلم أرجوك فهي
حقاً تتعذب به ؛ و ليس من العدل
أو الرحمة أن نتركها نهياً لهذا العذاب .

تردد رياض للحظة ؛ قبل أن يهمس في
توتر :

- هناك سر فعلاً لكن جنة لم تتعمد أن
تخفيه عنك ؛ فهي حتى لا تعرف به ..
كان عليّ أن أصارحك به عندما طلبت
يدها مني لكنني لم أستطع أن أفعل ..
سامحني يا حسن فأنا أب و لم يكن من
السهل عليّ أن أبوح لك بما أعرف أنه
سيهدد سعادة ابنتي و سيحرمها منك .

لم يجد رياض أمامه مفرأً من أن يفتح أبواب الماضي المغلقة على أسراره الدفينة ؛ و أن ينكأ الجراح التي لم يستطع الزمن أن يطمسها أو يمحوها ؛ و عندما انتهى عن الحكى هتف حسن في توتر :

- عمي .. هل أنت واثق من أن جنة لا تعلم شيئاً عن هذا ؟

هتف رياض في حرقة :

- و كيف ستعلم به ؟ .. بذلت كل ما في وسعي لأحميها من الحقيقة و مرارتها .. انتقلت إلى الاسكندرية بمجرد أن استعادت و عيها و سمح الأطباء بخروجها من المستشفى ؛ و منذ هذا الوقت و أنا و هي نعيش هنا في عزلة بعيداً عن كل من نعرفهم .. حتى شقيقي الوحيد لم أذهب لزيارته منذ عشر سنوات كاملة و عندما أتى ليحضر عقد زواجكما حضر بدون زوجته و أولاده

إمعاناً في الحرص .. جنة قاست في حياتها كثيراً و لم أكن مستعداً لأن تتحمل وزراً لم تجنيه ؛ و خطيئة لا ذنب لها بها .

هتف حسن في حيرة :

- لو كان هذا صحيحاً ؛ فما الذي يعذبها على هذا النحو ؟ ..

هتف رياض في مرارة :

- تحملت فوق طاقتها يا بني .. خسرت بصرها و أمها دفعة واحدة ؛ و أنا انتزعتها من البيت الذي تألفه ؛ والمدرسة التي اعتادت عليها ؛ و النادي الذي كانت إحدى بطلاته ؛ و زرعها في سجن من العمى و الغربة و الوحدة لم تجرؤ على أن تغادره حتى عندما ظهرت أنت في حياتها ؛ و فتحت أبوابه على مصراعها أمامها .

عقد حسن حاجبيه و هو يفكر في كلام رياض بعمق ؛ كان يعرف أن كل ما قاله رياض و صارحه به هذه الليلة عبثاً ثقيلاً لم يكن من السهل عليه مواجهته ؛ لكنه كان واثقاً من أن هذا ليس كل شيء ..

جنة تتعذب فعلاً حتى أنه يشعر بأنها لا تزال مسجونة بين جدران خفية لا يستطيع أن يراها ؛ لكنها تخنق أنفاسها و تغرقها في تعاسة لا حدود لها ؛ و لا شيء يمكن أن يشفيها منها حتى وجودهما معاً .

كان رياض يتأمل حسن في شروده و هو يفكر في خوف في أن حسن قد يترك جنة بعد ما سمعه منه الآن ؛ لا يعلم كيف ستتحمل جنة خسارتها لزوجها بهذه السرعة ؛ و لا يعرف كيف سيشرح لها لما تخلى زوجها عنها

و نبذها دون أن يبوح لها بما أخفاه عنها
لسنواتٍ طويلة .

همس رياض في توتر :

- جنة لا ذنب لها فيما حدث في الماضي ؛
هذه جنايتي أنا و أمها عليها .. و إذا
قررت أن تتركها بسبب هذا فلا أحد
سيلومك ؛ لكنني أتوسل إليك بألا
تخبرها بحرفٍ واحد مما سمعته مني
الليلة .. لا أعرف كيف سأبرر لها
موقفك ؛ لكنني سأجد شيئاً قد يكون أقل
إيلاماً و أفنعها به .

هتف حسن في حزم :

- أنت قلتها بنفسك يا عمي .. جنة لا ذنب
لها فيما حدث ؛ فكيف أحاسبها بذنبٍ لم
تجنهه ؟ .. جنة زوجتي ولا شيء سيغير
هذا الواقع .. حتى الماضي الذي لا ذنب
لنا فيما حدث فيه .

ثم زفر في حرارة ؛ قبل أن يردف :
- لكنني الآن مضطر لأن أصارك بشيء
لا أعرف كيف سيكون رد فعلك عندما
تعرفه .. لكنه جزء من الماضي ؛ لا أنا
و لا جنة مسئولون عنه .. كامل
الدمهوري .. عمي .

امتقع وجه رياض بشدة ؛ فهمس حسن :
- آسف يا عمي .. أعرف أنها مصادفة
غريبة و قاسية و لكن .. قدر الله وما
شاء فعل .

الفصل الرابع عشر

عاد حسن إلى غرفة نومه و أغلق الباب خلفه ؛ كانت جنة تجلس أمام المرأة و هي تحقق في صورتها المنعكسة عليها وهي شاردة الذهن ؛ حتى أنها لم تنتبه لدخول زوجها إلى الغرفة ..

بدت شاحبة الوجه ؛ دامعة العينين ؛ شاردة الذهن و لم يكن شيئاً من هذا يليق بعروس لم يمض على زواجها سوى بضع ساعات ؛ لكن حسن حاول أن يتجاهل هذا و هو يقترب منها ..

وضع حسن يديه على كتفيها ؛ و هو يهتف مبتسماً :

- صباحية مباركة يا عروسة .. ذهب والدك إلى الشركة بدون أن يتناول فطوره معنا ؛ فماذا تقترحين ؟ .. هل نخرج لتناول فطورنا في أي مكان بالخارج أم نتناول فطورنا هنا ؟ .. أنا

عن نفسي لن أحب أن أغادر هذه الغرفة
قبل أن ينته شهر العسل .

التفتت إليه جنة و نظرت في عينيه وهي
تهمس :

- هناك شيء .. يجب أن أصرحك به .

أحاط حسن وجهها بكفيه ؛ و همس في
حنان :

- لو كان هذا ما تريدينه فعلاً فكلي آذاناً
مصغية يا حبيبتي .. قولي كل ما
ترغبين في قوله يا جنة و لا تخشي شيئاً
.. قلت لك من قبل أنني لا ألومك و لن
ألومك أبداً ؛ على أي شيء قد حدث
بدون إرادتك .

فغرت فاها و بدا و كأنها تهم بأن تنطق
فعلاً لكن الكلمات تعثرت في جوفها ؛
و انهمرت الدموع كالسيل من عيونها ؛
و هي تهتف في لوعة :

- لا أستطيع .. سامحني يا حسن ..
سامحني .

ارتمت في صدره فضمها في حنان ؛
كيف يجعلها تصدق بأنه لا يرغب في
معرفة الماضي و لا يهتم بما حدث فيه
و لن يستطيع أن يحاسبها عليه ؛ و لن
يلومها على أي شيء لم يكن لها يد فيه .

مسح الدموع عن وجهها قبل أن يحملها
إلى الفراش و هو يقبلها في حرارة ؛
متجاهلاً صوت رنين هاتفه الذي لم
ينقطع حتى فقد الهاتف طاقته ؛ و توقف
عن العمل ..

كانت درية تحاول الاتصال به و عندما
لم تستطع اتصلت على أحمد الذي أتى
إلى شقة والده و زوجته في يده ؛ و هو
يهتف في قلق :

- ماذا هناك يا أمي ؟ .. لم أفهم شيئاً مما قلتيه على الهاتف .

هتفت الأم في توتر :

- أين أخوك ؟ .. لم يعد إلى البيت ليلة أمس و لم يذهب إلى المستشفى و لا يجيب على هاتفه .. أين هو يا أحمد ؟

هتف أحمد في تردد :

- هل جربت الاتصال به في بيته ؟ ..
أليس معك الرقم الأرضي ؟

هتفت درية في استنكار :

- أي بيت ؟ .. ومنذ متى كان لأخيك بيتاً غير هنا ؟

تردد أحمد و لم يقل شيئاً ؛ فهمست
سوسن :

- أحمد يقصد بيته هو و جنة .. ثقة
الباشمهندس .. هل جربت الاتصال به
هناك ؟

هتفت درية في حدة :

- هل غادرت المستشفى ؟

هتف أحمد مبتسماً :

- بلى و الحمد لله .. اتصلت على حسن
بالأمس لأخبره بأن كريم قد عاد من
دبي فأخبرني بالبشرى .. أغلب الظن
أنه مع عروسه الآن لكنني سأتصل به
لأطمئن عليه و لأخبره بأن كريم
سيتناول العشاء معنا الليلة هنا ليرانا
جميعاً قبل أن يسافر مرة أخرى غداً ..
لكن .. أين أبي ؟

خرج كمال من غرفة مكتبه ؛ و هو
يهتف :

- أنا هنا .. أختبئ من المورستان الذي تديره السيدة الفاضلة أمك .. تقيم الدنيا ولا تريد أن تقعدا لمجرد أن أخاك قد اختفى عن عينيها لبضع ساعات ؛ و كأنه لا زال رضيعاً و تريد أن تغير له حفاضه .. تعقلي يا درية .. ابنك قد كبر و فتح باب القفص الذي تصرين على أسره بداخله ؛ و لن يعود إلى سجنك بالبساطة التي تتخيلينها .

كادت أن تنشب مشاجرة ما بين درية و كمال كالعادة ؛ لولا أن هتفت سوسن :

- هل علمت يا عمي بأن شقيقي كريم هنا ؟ .. أتى بالأمس و سيسافر غداً .. لا أدري متى سيستقر و يتخذ لنفسه بيتاً و زوجة ؛ شارف الثلاثين ولا زال يتصرف بنفس الفوضى التي كان عليها عندما كان مراهقاً .

كانت سوسن تحاول أن تدير دفعة الحديث بعيداً عن حسن ؛ لكن درية عادت تهتف في ثورة :

- اسمع يا كمال .. يجب أن تفعل شيئاً و ترد ابنك إلى عقله .. إن لم ينه علاقته بتلك الساقطة حالاً فأنا لن اغفر له هذا أبداً و سأقطع علاقتي به و بكم جميعاً .. أنت الذي تشجع ابنك على هذه الحماقة و إن لم ترجعه عنها سأترك البيت و لن يعرف أحدكم مكاني حتى أموت .. اطلب أخاك يا أحمد .. اطلبه حالاً .. أريد أن أجده أمامي هنا فوراً .

هتف أحمد في استنكار :

- أخي مع عروسه .. هل تريدني مني أن أجعله يترك عروسه بعد ساعات من زواجه بحجة أن أمه ستهرب و تترك البيت ؟ .. الرحمة يا أمي ؛ فهذا ليس عدلاً .

تسلل رياض إلى البيت على أطراف أصابعه ؛ كان يعلم أن ابنته لا تزال في غرفة نومها و لم يرد إزعاجها ؛ طلب من وديدة أن تجهز له الغداء في غرفته لكن جنة خرجت إليه ؛ و هي تهتف :

- و منذ متى تتناول غداءك بدوني يا أبي ؟

وجهاها الذي تدرج بالحمرة كان مشرقاً بابتسامة أثلجت صدره و هو يضمها في حنان ؛ قبل أن يتناول الغداء معها هي و حسن .. بدت سعيدة و هادئة رغم نظرة الحزن المخفية في عيونها و التي كان يراها مهما اجتهدت في إخفاءها .

عندما اتصل أحمد على الهاتف الأرضي و طلب من حسن الحضور إلى بيت أبيه ؛ هتفت جنة في تردد :

- هل يمكن أن أذهب معك يا حسن ؟ ..
أريد أن أتعرف على أمك و زوجة
أخيك .

ضحك حسن و هتف :

- ستذهبين معي طبعاً .. لكنها ستكون
عملية انتحارية غير مأمونة العواقب ؛
و قد تصبح لدينا خسائر في الأرواح ..
فهل أنتِ فدائية بما يكفي ؟

ضحك رياض و هتف :

- جزى الله شيطانك يا حسن .. هل تخيفها
من الآن ؟

هتف حسن مازحاً :

- أحاول فقط أن أجعلها مستعدة لمقابلة
أمي ؛ فأنت لا تعرف أمي بعد .. أغلب
الظن أنها ستذبح لنا القطة و ستعشينا
بها .

الفصل الخامس عشر

وقفت جنة أمام المرأة بعد أن تزينت و ارتدت أفضل ثوبٍ لديها و هي تشعر بالتوتر ؛ لم تكن واثقة من أن مظهرها سيعجب درية أم لا ؛ حتى أنها فكرت في أن تنزع الثوب و تجرب ثوباً آخر لولا أن حسن قد أحاطها بذراعيه ؛ و هو يهتف مبتسماً :

- لا أنصحكِ بأن تفعلي .. إذا نزعت هذا الثوب فلن نذهب إلى أمي قبل الغد .

قبلها في حرارة ؛ قبل أن تهتف في توتر :

- أتظن أنه مناسب ؟ .. أتظن أنني سأعجبها ؟ .. أخشى أنني لا أروق لها و أنها لن تحبني .. أمك صعبة الطباع و لا يمكن إرضاؤها بسهولة ؛ أليس كذلك يا حسن ؟

هتف حسن في حنان :

- أُمي متطلبة قليلاً و مستبدة بعض الشيء
و عصبية في معظم الوقت و لكنك
ستعتادين على طباعها مع الوقت .. و لا
أريدك أن تقلقي منها فأنا لا أعطيها
أذني و لا أسمع لكل ما تقول ..
و أعرف أنها لن تتقبل زواجنا بسهولة ؛
لكنها ستتقبله مع الوقت .. و كل ما
يحتاج إليه الأمر هو القليل من الصبر
و الكثير من برودة الأعصاب .

ألقت جنة على صورتها في المرأة نظرة
أخيرة قبل أن تغادر البيت مع زوجها ؛
عندما وقفا أمام باب شقة كمال لاحظ
حسن أن وجهها قد شحب قليلاً ؛
و أصبحت كفها التي يحيطها بأنامله
باردة بعض الشيء لكنه ابتسم لها في
ثقة قبل أن يفتح لهما أحمد الباب ؛ و هو
يستقبلهما في ترحاب .

عندما دخلا إلى الشقة ضم كمال زوجة ابنه و قبل جبينها فشعرت جنة بالراحة قبل أن تلتفت إلى سوسن التي مدت يدها لكي تصافحها ؛ و هي تنتظر لها في استغراب .

ارتجفت جنة و هي تصافح سوسن حتى أن حسن قد لاحظ ارتجاجها ؛ أحاط كتفيها بذراعه و هو يرى الدموع التي لمعت في عيونها وهو يشعر بأن عقلها قد شرد بعيداً و لم يكن يرغب في أن يلاحظ أحد غيره هذا فهتف :

- أين أمي ؟ .. هل هي في المطبخ ؟

هتفت سوسن بسرعة :

- لا .. هي في غرفة النوم .. أنا سأذهب إلى المطبخ لأتمم على الطعام .. هل تأتين معي يا جنة ؟

هتف حسن بسرعة :

- لا .. جنة ستأتي معي لنرى أمي أولاً ؛
ثم ستلحق بك فيما بعد .

هتف كمال مبتسماً :

- أما أنا فسأدخل لأصلي العشاء قبل أن
تلهوني عنه .. عن إنكم .

دخل كمال إلى مكتبه بينما دفع حسن
زوجته برفق إلى غرفة نوم أمه ؛ حينئذٍ
التفت أحمد إلى زوجته ؛ و هو يهتف
في قلق :

- جنة لا تبدو بخير .. تبدو شاحبة
و مهزوزة .. من الواضح أن محاولة
انتحارها الفاشلة لا زالت تترك أثراً
عليها .. و أنتِ ؟ .. ما بكِ يا سوسن ؟
.. تبدين شاحبة كمن رأى شبحاً .

همست سوسن في جزع :

- بل أسوأ .. أنا أعرف جنة جيداً يا أحمد .. أعرفها منذ أن كانت طفلة بصفائر و أنا طالبة في الجامعة و كانت تناديني بأبلة سوسن .

هتف أحمد في توتر :

- أتعنين أنك تعرفينها منذ كنتِ تقيمين في المعادي ؟ .. ما معنى هذا ؟ .. أتعنين أن جنة تعرف بحادث وفاة عمي - رحمه الله - ؟

هتفت سوسن في زعر :

- بل أسوأ من هذا .. جنة هي ابنة المرأة التي كانت مع أبي عند وفاته .

امتقع وجه أحمد بشدة ؛ و هو يهمس :

- يا للمصيبة !! .. إذا علمت أمي بهذا فستقصف عمر هذه الزيجة فوراً ؛ و ستقلب علينا القديم و الجديد .. اسمعي

يا سوسن .. ربنا أمر بالستر .. لا أريدك أن تنطقي بحرفٍ من هذا أمام أمي ؛ و لا حتى أمام حسن أو أبي .

هتفت سوسن في انزعاج :

- أنا عن نفسي لا يمكن أن أخوض في هذا الحديث أبداً لكن المشكلة في كريم .. سيكون هنا في أية لحظة و أنت تعرفه جيداً .. متهور و أهوج .. و قد يقول شيئاً يفتح علينا باباً نحن في غنى عنه .

هتف أحمد في توتر :

- ربما لن يعرفها .

هتفت سوسن في استنكار :

- من الذي لن يعرفها ؟ .. صحيح أنه يكبرها بأربع سنوات على الأقل لكنهما كانا يدرسان في نفس المدرسة ؛ و يذهبان إلى نفس النادي و كنا جيراناً

يا أحمد الباب في الباب .. أنا واثقة من
أنه سيعرفها .

أخرج أحمد هاتفه من جيب سترته و هو
يهتف :

- - فليكن .. اذهبي أنتِ إلى المطبخ و أنا
سأدخل إلى الشرفة و سأحاول الاتصال
عليه .. سأشرح له الأمر و أتمنى أن
يفهمني و يقدر الموقف .

بينما يتحدثان همساً كان حسن قد دخل
إلى غرفة درية التي كانت جالسة في
فراشها و الغضب في عينيها ؛ اقترب
حسن من فراشها و هو يهتف مبتسماً :
- هل أنتِ بخير يا ست الكل ؟ .. دعيني
أفحص نبضك و ضغط دمك حتى
أطمئن عليكِ .

هتفت درية في حدة :

- لا أريدك أن تفحصني .. من يخاف على أمه يا دكتور لا يحرق دمها ؛ و يدخل البغايا إلى غرفة نومها .

هتف حسن في حدة :

- أمي .. إياك أن

قاطعته درية هاتفة في ثورة :

- إياك أنت أن تتخيل أنني سأسمح باستقبال هذه الفاسقة في بيتي .. و إذا لم تطردها أنت من حياتك ؛ فعلى الأقل سأطردها أنا من بيتي .

احتقن وجه حسن و هو يهتف :

- اطمئني يا أمي .. لا هي ستدخل بيتك بعد الآن و لا أنا سأدخله ؛ فالبيت الذي تهان به كرامة زوجتي لا مكان لي فيه .

قبل أن يهيم حسن بمغادرة الغرفة كانت
جنة ترتمي على الأرض و قد فقدت
وعياها ؛ فوجئ أحمد وسوسن عندما
غادر حسن غرفة أمه و هو يحمل جنة
بين ذراعيه قبل أن يسرع بها إلى
غرفته و يضعها في فراشه ..

أسرعت سوسن تحضر له زجاجة
عطر جعلت جنة تستعيد شيئاً من وعياها
قبل أن تحضر لها بعضاً من عصير
الليمون تجرعت جنة جزءاً منه
بصعوبة ؛ قبل أن تستند إلى حسن وهي
تغادر الفراش و الشقة معه .

في المصعد كان حسن يحيط زوجته
بذراعيه ؛ و هي تستند إلى صدره
و دموعها تنساب في صمت .. همس
حسن في لوعة :

- أنا آسف يا حبيبتي .. و الله لو علمت
بأنها ستعاملك بهذه الصفاقة لما
عرضتك لهذا الموقف أبداً .

توقف المصعد في الطابق الأرضي ؛
و ما إن انفتح الباب حتى وجدا كريم
أمامهما .. هتف كريم في حماس :
- إلى أين أنت ذاهب يا عريس ؟ .. هل
تناولتم العشاء بدوني أم

بتر كريم عبارته و هو يحدق في وجه
جنة الشاحب الذي تغرقه الدموع ؛ قبل
أن يهمس في زهول :
- جنة .. مستحيل .. بعد كل هذه السنين ؟
.. هل هذه هي عروسك يا حسن ؟.

ظلت جنة تحدق في وجه كريم في
رعب ؛ و قد تدفق إلى عقلها فيضٌ من
الذكريات الموجعة ؛ قبل أن تغمض

رواية

بلاقيود

عينيها و تنهاوى في صدر حسن فاقدة
الوعي .

الفصل السادس عشر

عاد أحمد و زوجته بأولادهما إلى شقتهما
و معهما كريم ؛ طلب أحمد من زوجته أن
تضع الأولاد في أسرّتهم ؛ قبل أن يلتفت إلى
كريم ؛ هاتفاً في توتر :

- ما الذي قلته لأخي عندما قابلته هو
و جنة ؟

زفر كريم في حرارة ؛ قبل أن يهتف :
- تقريباً لا شيء .. كان من الواضح أن
جنة منهارة و فقدت وعيها بمجرد أن
نظرت إلى وجهي .. عرضت على
حسن أن يصعد معي إلى شقة عمي لكنه
رفض بشدة و حملها إلى سيارته و ابتعد
بسرعة ؛ حتى بدون أن يعطيني فرصة
لأشرح له أنني كنت أعرف جنة من قبل
.. ما الذي فعلته أمك بها ؟

هتف أحمد في توتر :

- لا أحد يدري .. دخل حسن بها إلى غرفة أُمي لدقيقتين فحسب ثم خرجا و البنّت منهارّة كما رأيتها .. كل هذا و هي لم تعرف بعد بأن أمها كانت عشيقّة والدك ؛ و لا أدري ما الذي ستفعله عندما تعرف .

هتف كريم في استنكار :

- و ما الداعي لتعرف بهذا ؟ .. هذا ماضٍ لا شأن لها به و لا داعي للخوض فيه الآن .. هل تنوي أن تخبرها ؟

هتف أحمد بسرعة :

- بالطبع لا .. لا أنا و لا سوسن نرغب في تقليب المواجه علينا ؛ و إذا كنت رجلاً و احتفظت بالسر لنفسك ؛ فلا أظن أنها من الممكن أن تعرف شيئاً عن هذا .

تنهد كريم في حرارة ؛ قبل أن يهتف :

- من جهتي أنا اطمئن .. حسن و جنة عزيزان على قلبي جداً و لا يمكن أن أسئ إليهما ؛ ثم إنني سأسافر دبي غداً و لن أعود قبل بضعة أشهر .. و من يدري ؟ .. قد أستقر هناك لفترة أطول من هذا بكثير .. أتظن أن جنة بخير ؟ .. أليس من الواجب أن نتصل على حسن و نطمئن عليها ؟

وضع حسن زوجته في فراشها ؛ و رياض يهتف في لوعة :

- ما بها جنة يا حسن ؟ .. ما الذي فعلته أمك بها ؟

هتف حسن في مرارة :

- عاملتها بأبشع طريقة ممكنة لكن هذا ليس هو سبب انهيارها .. صدمها أن تر كريم و سوسن ؛ و هذا لا معنى له

سوى أنها كانت تعلم بالعلاقة الوسخة
التي جمعت بين أمها و عمي .

هتف رياض في جزع :

- مستحيل .. فعلت كل ما في وسعي
لأجنبها فضيحة أمها ؛ تحملت وجيعتي
وحدي و أخفيت الحقيقة عنها لأحميها ..
كيف عرفت ؟ .. كيف ؟

ربت حسن على وجنتي جنة و حاول
إفافتها بكل طريقة دون جدوى ؛ ظل
جسدها ينتفض و ظلت دموعها تسيل
و ظلت غائبة عن الوعي ؛ فلم يجد
حسن أمامه مفرأً من أن يحملها إلى
المستشفى .

لا أحد كان يستطيع أن يسبر أغوارها
و يرى دوامة الذكريات التي غرق
عقلها بها ؛ قفز الماضي إلى وجهها
عندما رأت كريم و سوسن و لم تعد

تستطيع مواجهة المخاوف التي عذبت قلبها لسنواتٍ طويلة .

بدأ كل شيء منذ عشر سنوات ؛ عندما كانت تجلس في غرفتها و هي تطالع بعض دروسها بمفردها ؛ أنهت لتوها اتصالاً هاتفياً مع والدها و كانت تشعر بالوحدة ؛ فقد خرجت أمها كالعادة و لن تعود قبل عدة ساعات ؛ و قد تنتهي جنة من دروسها و تتناول عشاءها بمفردها ؛ و قد تنام أيضاً قبل أن تعود أمها من عرض الأزياء الذي ذهبت إليه مع صديقتها زهرة التي تقيم في الشقة المقابلة ؛ و التي كانت صديقة أمها المقربة ؛ و التي تقضي معظم وقتها معها .

شعرت بالذعر عندما فتح كريم باب غرفتها فجأة ؛ و هبت واقفة و هي تهتف في استنكار :

- كيف دخلت إلى هنا ؟ .. و ماذا تريد
مني ؟ .. لا تقترب مني .. سأنادي على
أمي .

أغلق كريم الذي لم يكن قد تجاوز
السابعة عشر من عمره باب الغرفة
خلفه و ضحك هاتفاً :

- أمك و أمي معاً في عرض الأزياء و لن
يعودا قبل بضع ساعات .. فلا تتراكي
عليّ ؟ .. أنا و أنتِ هنا وحدنا يا جنة ؛
فلا تضيعي الوقت في الأعيب لا جدوى
منها .

شحب وجه جنة و تراجعت ؛ و هي
تهتف في زعر :

- لا تقترب يا كريم .. إذا اقتربت مني
سأصرخ .. لنا جيران و سيهب أحدهم
لنجدتي .

هتف كريم في هدوء :

- فعلاً ؟ .. هيا .. اصرخي .. لكن فكري أولاً في كيف ستبررين لهم وجودي هنا .. أنا لم أحطم باباً أو أقفز من نافذة .. أنا دخلت بالمفتاح الذي بحوزة أبي .. نفس المفتاح الذي يستخدمه ليدخل كلما أتى لزيارة أمك منذ عامٍ مضى .

انتفضت جنة و صفعته بكل قوتها و هي

تهتف :

- كذاب .

اندفع الغضب في سرايين كريم و هو

يضع يده موضع الصفعة ؛ تراجعت

جنة و هي تشعر بالذعر ؛ و ازداد

ذعرها عندما جذبها كريم من شعرها

بقسوة و دفعها أمامه ؛ أخذها إلى غرفة

أمها و ألقاها على الفراش و هو يهتف :

- أنا لست الكذاب هنا بل أنتِ .. لا تدعي

الجهل و البراءة .. و إذا كنتِ لا تعرفين

الفاسقة التي تعيشين معها فعلاً شمي
 عرق أبي في فراشها لتعرفيها على
 حقيقتها .. أتظنين أنني مغفل كأمي ؟ ..
 أنا أرى كل شيء و أعرف بما يجري
 .. و أسمع ما يتهامس به الناس في
 المعادي كلها عما بينهما ؛ أم أنكِ عمياء
 و صماء و غبية لهذا الحد ؟

انفجرت جنة باكية ؛ الطفلة التي لم
 تتجاوز الثالثة عشر من عمرها لم تكن
 تدري أيهما يخيفها أكثر : الكلام البشع
 الذي يلقيه كريم في وجهها أم وجودها
 وحدها مع مراقب أحرق و غاضب
 و يسيئ الظن بها و يرغب فعلاً في
 إيذاءها ؟ ..

صرخت في زعر عندما ألقى كريم ثقله
 فوقها و حاول أن يقبلها ؛ استجمعت كل
 قوتها و دفعته بعيداً عنها ؛ و هي تهب
 من الفراش و تلتقط مقص الأظافر

الصغير الموضوع أمام المرأة ؛
و وجهته إلى صدرها و هي تهتف :
- ابتعد عني .. إذا اقتربت مني سأقتل
نفسي .

اعتدل كريم جالساً و نظر إلى المقص
و هو يهتف في استهجان :
- أنتِ فعلاً غبية ؛ أتظنين أن هذا الشيء
يمكن أن يحميكِ مني ؟

نهض كريم و اقترب منها ببطء ؛ كانت
ترتجف و عندما جذب يدها و انتزع
المقص من بين أناملها بقوة ؛ انهارت
على الأرض و هي تتوسل إليه ألا
يقرب منها .. تأملها كريم في برود قبل
أن يهتف :

- أتعرفين أنكِ أجمل فتاة في المعادي
كلها ؟ .. في حياتي لم أشتِه فتاة كما
أشتهيك ؛ لكنني لن أغصبك .. أتعرفين
لما يا جنة ؟ .. لأنكِ كما تركعين أمامي

الآن و تتوسلين لألا ألمسك ستركعين
 أمامي ذات يوم و ستتوسلين لأن أفعل ..
 ابنة الفاسقة فاسقة مثلها و المتعة التي
 تجدها أمك في حزن أبي ستأتين راکعةً
 لي لأمنحها لك .

عندما غادر كريم الشقة عادت جنة إلى
 غرفتها و هي تترنح ؛ ارتمت في
 فراشها و هي لا تصدق أنه قد تركها
 نقلت من يده .. هذه المرة على الأقل ..

كانت تشعر بالذعر لكن خوفها الأكبر
 لم يكن من كريم أو مما يريد كريم أن
 يفعله بها .. خوفها الأكبر كان مما قاله
 كريم لها ؛ و الذي لم تكن ترغب في
 تصديقه .

تعرف كامل الدمنهوري جيداً .. تعرف
 أن أمها تذهب أحياناً إلى مكتب المحاماة

الذي يملكه فهو محاميها الخاص كما أن زوجته زهرة هي صديقتها المقربة ..

كانت ترى أمها مع كامل في النادي وحدهما بدون زهرة لكنها لم تشك قط في أنه من الممكن أن يكون على علاقة بها .. لا .. كريم أحقق و كذاب و أمها أشرف من كل الادعاءات التي يلصقها بها .. لا يمكن أن تصدق حرفاً مما يقول ..

مع هذا لم تستطع أن تصارح أمها بما فعله كريم أو بما قاله .. ظلت لعدة أيام لا تفكر سوى في هذا و الشكوك تنخر عقلها و قلبها معاً ؛ لكنها لم تكن ترغب في التصديق .

في ذلك الصباح ذهبت إلى النادي لتتمرن على السباحة كالعادة ؛ كان من المتوقع أن تنافس على بطولة

الجمهورية لكن المدرب صرفها من
 التمرين ؛ و هو يهتف في استياء :
 - انظري إلى نفسك يا جنة .. أنتِ شاحبة
 و تترنحين و بالكاد تلتقطين أنفاسك ؛
 عودي إلى البيت لترتاحي و إذا كنتِ
 على هذا الحال في موعد التدريب القادم
 فلا تأتِ ..

كانت فعلاً تبدو كما لو كانت مريضة ؛
 الوسائس التي ملأت عقلها كانت هي
 المرض الذي لا تعرف كيف تشفى منه
 ؛ لا تريد تصديق مع سمعته من كريم
 و لا تستطيع أن تنساه ..

لكنها عندما عادت إلى البيت و رأت
 السترة و الحذاء الرجالي الملقيان في
 إهمال في ردهة الشقة أصبح جسدها
 بارداً كالثلج و هي تقترب من غرفة نوم
 أمها ..

وقفت للحظات كالتمثال و هي تسمع
الأصوات التي تتسلل إلى أذنيها من
داخل الغرفة .. قبل أن تمد يدها و تفتح
الباب .

الفصل السابع عشر

تأمل حسن وجه زوجته المغرق بالدموع في حسرة ؛ كان جسدها لا يزال يرتجف رغم المهدئات التي حقنها الأطباء بها في المستشفى ؛ لا يعرف ما الذي يدور في عقلها و يجعلها محطمة على هذا النحو ؛ لكنه يعلم أن أفكارها تعذبها ؛ و أنها لا تستطيع أن تقاوم الألم الذي يمزق قلبها و يجعلها تستسلم لانهارها .

كان رياض يبكي في حرقه و هو يتأملها ؛ قبل أن يهتف في لوعة :

- قل الحقيقة يا حسن .. ما بها ابنتي بالضبط ؟ .. ماذا حدث لها ؟

حاول حسن أن يدفع رياض برفق ليغادر الغرفة و هو يهمس :

- لندعها ترتاح يا عمي .. جنة بخير لكنها
تحتاج لبعض الراحة حتى تهدأ
أعصابها .

غادرا الغرفة معاً ورياض يهتف :
- لا يا حسن .. جنة ليست بخير .. ألا
تراها بعينيك ؟ .. البنت منهارة .. جنة
تضيق منا يا حسن .. جنة تحتضر ..
ابنتي تحتضر .

ربت حسن على كتف رياض ؛ و هو
يهتف :

- لا قدر الله يا عمي .. صدقتي .. جنة
ستتعافى مما هي فيه بأسرع مما تتخيل
.. تعاني من صدمة عصبية لكن الأمر
ليس مخيفاً كما تتخيله .. عليك بالصلاة
و الدعاء لأجلها ؛ فهذا ما تحتاجه الآن .

اقترب منهما كريم و هو مكفهر الوجه ؛
و مال نحو حسن هاتفاً :

- طائرتي بعد ثلاث ساعات لكنني لم أستطع الذهاب قبل أن أتكلم معك .. هناك أمور ينبغي أن تعلمها فقد يساعد هذا في شفاءها بسرعة .. دعنا نتحدث وحدنا .

- أخذ حسن ابن عمه إلى مكتبه ؛ و ما إن أغلق الباب خلفهما حتى هتف :
- أعلم كل شيء عن هي والدة جنة يا كريم .. والدها صارحني بالحقيقة .

- زفر كريم في حرارة ؛ قبل أن يهتف :
- عمي رياض لم يكن موجوداً في مصر وقتها و هناك الكثير من التفاصيل التي لم يكن يعلمها و لا يعلمها أحد .. أنا أخلج من نفسي كلما فكرت فيما فعلته .. لكنني كنت مجرد مراقب أحقق و مندفع و يرى ما يحدث بين والده و صديقة أمه .. و لا أدري لما جعلني هذا أشعر بأن جنة ملكي و من حقي .

شحب وجه حسن بشدة و هو يتمم :
- هل كان هناك شيء بينك أنت و جنة ؟

هتف كريم بسرعة :

- لا .. لم يكن هناك شيء بيننا .. من
جهتها هي على الأقل .. كانت أجمل فتاة
في المعادي كلها رغم صغر سنها
و كنت متيماً بها ؛ لكنها كانت فتاة
مستقيمة و منطوية ؛ و لا تحب
الانخراط معي و مع أصحابي .. رغم
أنني ظللت أطاردها لبضعة أشهر .

هتف حسن في توتر :

- تحرشت بها ؛ أليس كذلك ؟

ظهر الندم و الخجل على وجه كريم ؛
و هو يهمس :

- لا أنكر هذا .. تصرفت معها بوضاعة
حتى أنني حاولت ابتزازها بما أعرفه
عن علاقة أمها بأبي .

امتقع وجه حسن بشدة و ازداد توتره ؛
و هو يهتف :
- إذا .. كانت جنة تعرف بما بينهما .

أوماً كريم برأسه إيجاباً ؛ و هو يهتف :
- بلى .. أنا أخبرتها .. بأبشع طريقة و في
أسوأ توقيت .. من بعد هذا أصبحت جنة
فتاة أخرى غير التي كنا نعرفها .. كنت
أراها و هي تذبل و تزداد نحولاً
و أشعر بأنني قد أذنبت في حقها ..
و حتى الآن .. أشعر بأن ظهوري
المفاجئ أنا و سوسن في حياتها
و قرابتنا لك هي سبب انهيارها .. من
الواضح أننا قد أيقظنا جراحها ؛ و قلبنا
عليها المواجه .

عاد حسن إلى غرفة زوجته ؛ وضع
مقعداً و جلس بجوار فراشها ؛ أمسك
كفها و ضغط أناملها في يده و هو
يتساءل عما تفكر فيه الآن .. و لو كان

يستطيع أن يخترق جدران عقلها لرأى
الذكريات التي تتدفق بلا هوادة .

كانت تقف عند باب الغرفة الذي فتحته
و هي تحرق في ذهول إلى أمها التي
اعتدلت جالسة في الفراش ؛ و هي
تهتف في ثورة :

- ما الذي أتى بك الآن ؟ .. ألم يكن لديك
تمرين ؟ .. هل تتجسسين عليّ يا بنت ؟

انسحب كامل من الفراش و ارتدى ثيابه
؛ و هو يهتف في برود :

- اجعلي ابنتك تحفظ لسانها و لا تتكلم فيما
لا يخصها حتى لا أقطعها لها .. عقليها
أحسن لها .

مرّ كامل بجوار جنة و غادر الغرفة ؛
و هي لا تزال تقف مشدوهة بينما
غادرت دلال الفراش و أشعلت سيجارة
؛ و هي تهتف في ثورة :

- ما كان عليك أن تكوني هنا الآن ؟ ..
أعرف أنك ابنة أبيك و تتحدثين معه
على الانترنت بالساعات لكن و ديني
و ما أعبد يا جنة لو نطقت بحرف واحد
لقطعت لك لسانك قبل أن يفعلها كامل .

همست جنة في لوعة :

- لما تفعلين هذا ؟ .. حرام عليك .. إذا لم
يكن أبي يراك فإن الله يراك ؛ ألا
تخافين منه ؟

هتفت دلال في ثورة :

- أبوك السبب .. هو الذي رمانني و نسانني
و أهدر آدميتي و أنوثتي .. خمسة عشر
عاماً و أنا وحيدة و مهجورة و محرومة
من كل حقوقي .. أتظنين أنني كنت
سأظل لآخر عمري مجرد خادمة لك ؟
.. مال الدنيا بأسرها لا يعوض ما يفعله
أبوك بي .

هتفت جنة في لوعة :

- تقصدين الثروة التي تبديديها في
الملابس المستوردة و شرب الخمر
و موائد القمار مع زهرة هانم .

لطمتها دلال على وجهها و هي تهتف :

- اخرسي .. ليس من حقك محاسبتني ..
هل تريدين أن تخبري أباك عما
رأيتيه ؟ .. فليكن .. أنا لا أبالي .. بل
على العكس .. أنا سأخبره بنفسي ..

التقطت دلال سماعة الهاتف و هي

تردف :

- سأقول له أنني أكرهه و لم أعد أطيعه ؛
و أنني مستعدة لأن أكون مع أي رجل
يستطيع أن يقدر عواطفني و يرضي
أنوثتي سواه .. سأخبره بكل شيء .. كل
التفاصيل .. عندها إذا قتلتها الصدمة
أو قتلتني و تأرجح على حبل المشنقة فلا
تلومي أحداً إلا نفسك .

اندفعت جنة نحو أمها و اختطفت الهاتف من يدها و هي ترتمي تحت قدميها و هي تبكي و تتوسل ؛ لا تتحمل أن يعرف أبوها الحقيقة بكل بشاعتها ؛ و لا تتخيل أنها من الممكن أن تخسره بسبب أم لم تعد تبالي بها ؛ و لا تشعر بما تحس به .

مرت بضعة أسابيع و جنة تتوسل إلى أمها كي تنسى كامل هذا و تنزعه من حياتها ؛ كانت تتذلل لها لتسافر معها إلى والدها و أن تبعد عن الشيطان الذي أفسد حياتهم و جعل سيرتهم على كل لسان لكن دلال لم تكن تسمع لها أو تراها .

كانت دلال تهتف دوماً في إصرار :
 - أحب كامل و لن أضحي بوجودي معه بأي ثمن .. أنتِ لا زلتِ صغيرة و لن تفهمي قط معنى أن تكون امرأة شابة

و جميلة مثلي وحيدة و منبوذة .. لا
 يمكنك أن تفهمي ما كنت أشعر به من
 تعاسة و حرمان قبل أن يدخل كامل إلى
 حياتي .. أبوك لم يعد له مكان في
 حياتي و حتى لو عاد و استقر في مصر
 كما تقولين فهذا لن يغير شيئاً .. أحب
 كامل و لن أتركه تحت أي اعتبار .

لم تعد دلال تحاول إخفاء علاقتها مع
 كامل كما كانت تفعل من قبل ؛ بل على
 العكس .. أصبح دخوله أو خروجه من
 شقتهم في أية ساعة من ليلٍ أو نهار
 أمراً واقعاً تراه جنة بعينيها ؛ و لا تملك
 تغييره .

كان يظل في غرفة نوم أبيها لساعاتٍ
 طويلة ؛ و هي تجلس في الردهة تحرق
 في باب الغرفة المغلق ؛ و لا أحد يبالي
 بحسرتها و عذابها .

كانت تتصل بوالدها في كل يوم و هي تتوسل إليه أن يعود ؛ و هي تتمنى أن تصلح عودته الأمور و تجعل أمها تفيق من نزوتها و تتقي الله في نفسها و في زوجها و ابنتها ؛ و عندما أخبرها والدها بأنه يسوي أموره هناك و سيعود نهائياً ؛ دخلت إلى غرفة أمها و هي في منتهى السعادة و هي تهتف :

- أبي سيعود يا أمي .. سيعود لأجلنا و سيبقى معنا .. أبي يحبنا و تحمل الغربة و عذابها ليوفر لنا الحياة المرفهة التي كنتِ ترغبين فيها .. أرجوكِ يا أمي .. اغلقي بابنا في وجه زهرة و زوجها و دعينا نبتعد عنهم و عن الناس الذين افتضحنا بينهم .. أتوسل إليك .. افعلي هذا لأجلي .

هتفت دلال في برود :

- قللي لأبيك أنه لا داعي لعودته .. خلعتني المحكمة من عصمته هذا

الصباح ؛ و لم يعد له وجود في حياتي .. و لا أريد أن أرَ وجهه في هذا البيت مرة أخرى .

هتفت جنة في استنكار :

- هذا بيت أبي .

هبت دلال من فراشها ؛ و هي تهتف في حدة :

- أبوكِ لا يملك شيئاً هنا سواكِ .. الشقة و السيارة و الحسابات المصرفية كلها باسمي .. ثمن سنوات عمري التي أضاعها هدرًا و هو يقتل بي أجمل مشاعر الأنوثة التي يمكن أن تعيشها امرأة بجمالي .

هتفت جنة في لوعة :

- حرام عليكِ .. أنتِ السبب في بعده عنا و حرماننا منه .. أنتِ التي رفضتِ العيش معه هناك و رفضتِ عودته إلى

هنا حتى يوفر لك احتياجاتك و نزواتك
 التي لا تنتهي .. أنتِ غدرتِ به و هو
 في غربته و أهدرتِ شرفه و كرامته ..
 و الآن تريدین تجريده من ماله .. أبي
 لن يسكت .. أبي سيقتلك .

لم تكن دلالة تسمع لكلام ابنتها أو تبالي
 بما تقوله ؛ كان كامل يأتي إلى البيت
 و ينظر إلى عيون جنة التي تملأها
 دموع المذلة دون أن يشعر بأن الفتاة
 الصغيرة التي حملها فوق طاقتها
 أصبحت كالقنبلة الموقوتة و تستعد
 للانفجار في أية لحظة .

الفصل الثامن عشر

مرت بضعة أيام و جنة تذهب إلى المدرسة و تعود منها و هي لا تنطق بحرفٍ واحد ؛ لم تعد تحاول إقناع دلال بالعودة عما هي فيه لأنها باتت تعرف أنه لا جدوى من الحديث معها ..

كانت تعرف أن دلال لن تتراجع عما تفعله حتى يعود رياض من غربته و يعلم بخيانتها له .. ثم اتصل بها والدها ؛ و هتف في سعادة :

- أخيراً يا جنة .. أخيراً سأراكِ و أضمك أنتِ و أمك إلى صدري .. سأعود غداً في طائرة الخامسة مساءً .. قولي لأمك أن تتأكد من حساب البنك ؛ فقد حولت مكافأة نهاية الخدمة و باقي مدخراتي إليه .. أريد أن تنتظراني في المطار يا جنة .. عمك فؤاد يعرف رقم الرحلة ؛ و هو سيصحبكما إلى هناك .. وحشتيني .. و حشتيني جداً يا ابنتي .

أنهت جنة الاتصال و جلست على الأرض ساهمة .. غداً يعود والدها إليها .. يعود ليكتشف أنه لم يعد يملك أي شيء مما أفنى عمره في تجميعه .. لا بيته و لا زوجته و لا شرفه و لا ماله و لا حتى سمعته .. غداً ستفقد أمها و أباه و ستتهار حياتها كلها ؛ و لن يتبقى لها أي شيء .

خرج كامل من غرفة النوم و ألقى عليها نظرة استنكار قبل أن يلتفت إلى دلال هاتفاً :

- ما بها بنتك ؟ .. هل ستظل تراقبنا كالسجان ؟

هتفت دلال ضاحكة :

- دعك منها .. قريباً جداً لن تكون موجودة هنا و لن يزعجنا أحد ..

غادر كامل الشقة ؛ فهمست جنة في
تجهم :

- ما الذي تنتظرينه حتى تنتزعي نفسك
من الوحل الذي أغرقتينا فيه ؟ .. أن
يعود أبي و يغسل عاره بدمك أم أن
تستيقظ زهرة من نومة أهل الكهف ؛
و تعرف بما فعله صديقة عمرها من
خلف ظهرها ؟ .. حرام عليكِ .. أنا
أصبحت أخشى الخروج من البيت ..
الناس في النادي و البناية يتهامسون
علينا .. حتى زميلاتي في المدرسة بدأن
يلمحن بما تفعلينه و يعايرونني بكِ .

هتفت دلال في برود :

- لست مضطرة لهذا .. قلت لك من قبل
أذهبي إلى عمك فهو أولى بكِ ..
أو سافري إلى أبيك .. لكن .. لا تتماذي
يا بنت رياض و تجرئي على الحديث
معي بهذه الطريقة ؛ و إلا لقطعت
لسانك .

همست جنة في فتور :

- أبي سيعود .. غداً .. و سيستقر هنا ..
 سيعود من أجلنا يا أمي .. لأنه يحبنا
 و يحتاج إلينا .. ماذا سنقولين له عندما
 يسألك عن ماله و شرفه و سمعته ؟ ..
 كيف ستدافعين عن نفسك أمامه
 و تحمين حياتك منه ؟ .. أبي قد يقتلك
 يا أمي .. سيقتلك و سيعدمونه .. هل هذا
 ما ترغبين في حدوثه ؟ .. أن أخسر
 أمي و أبي كما خسرت شرفي و سمعتي
 بسببك .

هتفت دلال في حدة :

- أبوكِ هذا لن يقترب خطوة واحدة مني
 و لو حاول أن يرفع أصبعاً في وجهي
 سأسجنه .. هل تفهمين ؟ .. سأسجنه ..
 قلتي له أن يبتعد عن طريقي و يشتري
 نفسه لو كنتِ تخافين عليه .

ظلت جنة مستلقية في فراشها طوال الليل و هي تستمع لدقات الساعة و تحرق في سقف الغرفة ؛ تعرف أنها لا يمكن أن تترك والدها يدفع حياته و مستقبله ثمناً لخطايا أمها فقد دفع بما يكفي حتى الآن .. لن تسمح له بأن يقتلها و لن تراه و هو يتأرجح على حبل المشنقة ..

في الساعة صباحاً كانت قد ارتدت ثياب المدرسة و حملت حقيبتها و وقفت عند باب غرفة نوم أمها ؛ و هي تتأملها و هي مستغرقة في النوم قبل أن تغلق الباب ..

دخلت إلى المطبخ و فتحت كل أزرار الموقد و أغلقت النوافذ و غادرت الشقة ؛ و هي تشم رائحة الغاز الذي بدأ يتسرب و يملأ المكان .

جلست جنة في الحافلة و هي لا تشعر
 بما يدور حولها .. تملأ عقلها فكرة
 واحدة لا تتغير .. الغاز يملأ الشقة
 و سيتسرب إلى غرفة نوم أمها
 و سيخنقها ببطء .. لن يجدها رياض
 حية عندما يعود لينتقم منها و لن يخسر
 حياته و لا مستقبله بسببها .

نزلت جنة من الحافلة أمام المدرسة
 لكنها ظلت واقفة كالتمثال ؛ و عقلها
 يردد في ألم :

- أمي تموت .. أمي ستخنتق و تموت ..
 أمي .. لا .. لا يمكن أن أفعل هذا بها ..
 لا .. مستحيل .

اندفعت فجأة تجري عائدة إلى البيت ؛
 و هي لا ترى الطريق أسفل قدميها و لا
 المارة حولها و لا السيارات التي تندفع
 من كل مكان .. كل ما يملأ عقلها هو
 أنها يجب أن تمنع جريمتها قبل أن تتم

.. يجب أن تنقذ أمها قبل أن تموت ..
يجب أن تفعل ..

و عندما سقطت أسفل إطارات سيارة
مسرعة كان كل ما تفكر فيه هو أنها لن
تتمكن من العودة إلى البيت في الوقت
المناسب و هي تفقد الوعي .

هبت جنة جالسة في فراشها و هي
تصرخ في ذعر ؛ ضمها حسن إلى
صدره ؛ بينما هتف رياض في جزع :
- اهدئي يا جنة .. اهدئي يا ابنتي .. لا
شيء يستحق أن تفعلي هذا بنفسك .

هتفت جنة في لوعة :
- أمي ماتت .. أنا قتلتها .. أنا قتلتها
يا حسن .. قتلتها بيدي .. أنا مجرمة ..
مجرمة .

هتف حسن في حنان :
 - لا يا روعي .. لا يا جنة .. أنت لا ذنب
 لك فيما حدث .. ما كان بين عمي
 و أمك جريمتها هما و لا ذنب لنا فيها
 .. و هذا لن يؤثر على ما بيننا .. لا
 شيء يمكن أن يغير حبي لك .

نظرت إليه جنة بعيون ذائغة ؛ و هي
 تهمس :
 - أنا لا أستحق حبك و لا أستحقك .. أنا
 مجرمة يا حسن .. أنا مجرمة .. هي ..
 هي السبب .. هي جعلتني أرى الخطيئة
 بعيني و أتستر عليها .. هي جعلتني
 أكرهها .. هي جعلتني أقتلها .. لا
 أعرف كيف فعلت هذا .. لا أعرف
 كيف طاوعني قلبي و طاوعتني يدي ..
 لكنها كان يجب أن تموت .. هي جعلتني
 شريكها ؛ و كان يجب أن تموت بيدي
 لا بيد أبي .

كانت منهارة و ظلت تهذي حتى بعد أن
حقنها الطبيب بالمخدر و أمر والدها و
زوجها بمغادرة الغرفة ؛ لكن حسن لم
يستطع أن يتركها .. ظل يضم جسدها
المرتجف إلى صدره في حنان و هو
يهتف :

- اسمعيني يا جنة .. أنتِ موهومة .. لا يد
لك في موت أمك .

كان المخدر قد سرى في دمها و هي
تهمس :

- أنا خنقتها .. جعلت الغاز يتسرب في
الشقة لتختنق و تموت .. لكنني حاولت
.. حاولت أن أعود .. حاولت أن أنقذها
لكن .. لكنني استيقظت في المستشفى
لأجد نفسي كفيفة و أجدها ميتة .. أمي
.. أنا قتلت أمي يا حسن .. و هي لا
تريد أن تسامحني .. شبحتها يطاردني
في كل ليلة ؛ و يرغب في خنقي .. كان

يجب أن أموت كما ماتت .. ليتني مت
كما ماتت .

هتف حسن في لوعة :

- لا يا جنة .. لا يا حبيبتي .. أنتِ لم
تقتليها و هي لم تختنق بالغاز كما
تتخيلين .. زهرة هي التي قتلتها لا أنتِ
.. أمسكت بهما متلبسين في غرفة النوم
؛ و أطلقت عليهما الرصاص .. هي لا
زالت تقضي مدة عقوبتها في السجن ؛
و يمكنني أن آخذك إليها لتسمعي الحقيقة
بنفسك .. جنة .. جنة ..

كانت قد غابت عن الوعي فوضع حسن
رأسها فوق الوسادة ؛ ثم التفت إلى
رياض الذي كان يبكي في حرقة و هو
يهمس :

- لا أتخيل أنها كانت تكتم كل هذا الألم في
قلبها و تخفيه عني .. ظننت أنني أحميها
عندما أخفيت عنها سبب وفاة أمها .. لم

أرغب في أن تعلم بفضيحة موتها حتى
لا تعيش و هي تشعر بأنها تحمل عار
أمها فوق أكتافها .. لم أكن أتخيل أنني
ألقي بابنتي للوهم يحطمها و يعذب
روحها .

انسابت الدموع على وجه حسن ؛ و هو
يهمس :

- حبك لها جعلك تخفي عنها حقيقة موت
أمها و حبها لك جعلها تخفي عنك حقيقة
أمها نفسها .. الحقيقة التي رأتها بعينيها
و تعذبت بها .. مسكينة .. لا أدري كيف
تحملت كل هذا العذاب وحدها ؛ و هي
تغلق قلبها على جرحها و تكتم سرها
حتى عن أقرب الناس إليها .. كنت أظن
أنها مسجونة في عجزها لكنني لم أتخيل
و لو للحظة أنها مسجونة في بئر عميقة
من الألم و الخوف و الخزي لا أدري
كيف استطاعت أن تتحمله .

هتف رياض في لوعة :

- لكنها ستشفى يا حسن .. جنة ستشفى
و ستعيش ؛ و ستعوضها عن كل ما
قاسته .. ابنتي لن تضيع يا حسن .. لن
تموت .

كان حسن يصلي بجوار فراش زوجته
التي لم تستعد و عيها بعد و هو يبتهل
بأن تكون قد سمعته .. الحقيقة ستحررها
من الوهم الذي عذبها لسنواتٍ طويلة ..

و عندما فتح حسن النافذة لتدخل منها
خيوط الشمس فتحت جنة عيونها
و نظرت إليه .. اندفع نحوها ؛ و ضمها
إلى صدره ؛ فهمست :

- حسن .. قل أنني بريئة من دم أمي .. قل
أنك تحبني و ستسامحني و لن تتخل
عني .. قل أنك تستطيع أن تمزق كل
قبود الماضي و تحررني منها ..

عندما دخل رياض إلى غرفة ابنته تنهد
في ارتياح و هو يراها قد استعادت
رشدتها ؛ و ارتمت بين ذراعي حسن
الذي كان يقبلها في شغف .